توثيق نظام الاغوات في الحرمين الشريفين: مقارنة خمس دراسات

د. عفاف عبد الحفيظ محمد رحمة

قسم الفولكلور- معهد الدراسات الافريقية والاسيوية
جامعة الخرطوم

مستخلص:

الهدف من هذا المقال هو استعراض ومقارنة خمس دراسات وثقت لنظام الاغوات في الحرمين الشريفين. وتنبع اهمية هذه الدراسة من اهمية التوثيق للكثير من النظم التقليدية في الادارة والتى بدأت في الاندثار تحت ضغط الحياة المعاصرة وما تتطلبه من تغيير في اساليب العيش والادارة. بالاضافة الى توفير سجل منظم للاحاطة بالأدبيات السابقة في موضوع الدراسة للمهتمين من الباحثين في المستقبل. اتبعت الدراسة المنهج المقارن والذي هدف لإجراء مجموعة من المقارنات بين الدراسات المعنية بهدف التعرف على أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها، مع الاخذ في الاعتبار تاريخ صدور هذه الدراسات، والمتغيرات التي حدثت خلال المدة بين كل دراسة واخري، والظروف الموضوعية التي احاطت بكل دراسة، ومدي مساهمة كل منها في التوثيق لنظام الاغوات في الحرمين الشريفين. أهم ما انتهت اليه هذه الدراسة ان الدراسات التي وثقت لنظام الاغوات في الحرمين الشريفين كمّلت بعضها بعضا وأن موضوع الأغوات لا يزال حقلا بكرا يستحق مزيدا من البحث والتقصي.

الكلمات المفتاحية: الاغوات، الخصاء، الحرمين الشريفين، التراث الثقافي، التوثيق.

Documenting the Aghawats System in the Two Holy Mosques: Comparing Five Studies

Dr. Afaf Abdelhafeez Mohamed Rahma

Abstract:

The aim of this article is to review and compare five studies that documented the Aghawats system in the Two Holy Mosques. The importance of this study trailed the importance of documenting the traditional systems in administration that have begun to disappear against modern life's patterns and what it imposed of changes in lifestyles and administration institutions. In addition, it aims to provide an organized record of the topic's literature to interested researchers in the future.The study followed the comparative approach, aiming to conduct a set of comparisons between the stated studies to identify the similarities and differences between them, taking into account the dates of publication,

the variations that occurred in the field of study during the time between each study and the other, the objective circumstances accompanied each study, and the extent of the contribution of each study in documenting the Aghawats system in the Two Holy Mosques.The most important conclusion of this study is that the studies that documented the system of Aghawats in the Two Holy Mosques complemented each other, and that the subject of Aghawats is still a virgin field that deserves further research and investigation.

Key words: Aghawat, castration, the Tow Holy Mosques, cultural heritage, documentation.

مقدمة:

يعيش العالم في وقتنا الراهن العديد من التطورات الاقتصادية والتحولات الاجتماعية والثقافية والبيئية غير المسبوقة مثل الغزو الثقافي، والتوسع الحضري السريع، ومشاريع التنمية والتصنيع. وتشكل كلها أنواعا من المخاطر التي تهدد التراث الثقافي، وتعرضه لأخطار الإهمال والتدهور والزوال بشكل أسرع من أي وقت مضى. وقد تعرض التراث الثقافي في منطقة الخليج العربي والتراث غير المادي على وجه الخصوص بالفعل لواقع جديد. ففي مكة المكرمة والمدينة المنورة أدت التطورات الاقتصادية المتسارعة الى تغييرات أثرت في بعض أنماط الحياة التقليدية والعادات والتقاليد والنظم التي سادت لسنين فتكيف بعضها مع ما استجد من أوضاع واندثر بعضها، ومن هذه النظم التي تشهد حالة من الاندثار هو نظام الاغوات في الحرمين الشريفين في مكة والمدينة. فى هذا السياق يصبح التوثيق لهذه الانظمة وانماط الحياة المهددة بالاندثار مهمة جوهرية تحفظ سجلا من الماضي للأجيال القادمة.

يهتم هذا المقال باستعراض ومقارنة دراسات خمس وثقت لنظام الاغوات في الحرمين الشريفين، إضافة الى استعراض تجربة وثقت لهم توثيقا فوتوغرافيا. وهو يتكون من ثلاثة أجزاء: قمت في الجزء الأول من المقال بعرض مقدمة عن الاغوات ونظامهم حوت معلومات عامة تمت تغطيتها في جميع الدراسات التي ستتم مقارنتها . شمل ذلك التعريف بالاغوات، والتعريف بلفظة (أغا) ومترادفاتها، ومن استحدثهم، وأجناسهم، وموقف الإسلام وبعض العلماء من الخصاء ووقفهم لخدمة الحرمين الشريفين، ونظامهم المؤيد بتقارير الحكام، ومراتبهم، ووظائفهم، وزيهم، ودخلهم، ودكتهم في المسجد النبوي، ومقعدهم في مكة، وحارتهم فى المدينة، وزواجهم، ومكانتهم الاجتماعية والسياسية، وتناقص أعدادهم ووظائفهم مما يهدد باندثار مؤسستهم التي بدأت منذ القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي. وقمت فى الجزء الثاني بتحديد موضوع المقارنة وذلك بعرض مختصر للدراسات الخمس المعنية وتواريخ وظروف صدورها ومحتوياتها. وفى الجزء الثالث قمت بتوضيح متغيرات المقارنة بين الدراسات المذكورة فرصدت نقاط الاتفاق والاختلاف بين هذه الدراسات فيما يتعلق بعرض واستقصاء تفاصيل موضوع البحث، وفي المصادر المستخدمة فى كل من

هـذه الدراسـات، ومسـاهمة كل منهـا في العمـل الميـداني وجمـع المعلومـات مـن ميـدان الدراسـة، وفي افـادة كل منهـا مـما سـبقها مـن دراسـة/ دراسـات، وفي الخلفيـة التـى تمـت عبرهـا كل دراسـة ومـدي تاثـير تلـك الخلفيـة في اختيـار المصـادر وفي مخرجـات الدراسـة.

1:3 في التعريف بالاغوات ونظامهم في الحرمين الشريفين:

مـن الصعـب تحديـد مصـدر لفـظ (أغـا) فهـو مسـتعمل في اللغـات الكرديـة والتركيـة والفارسـية. وقـد اسـتخدم اللفـظ ضمـن هـذه اللغـات بمعـاني ومدلـولات متعـددة منهـا: الشـيخ، الكبـير، الرئيـس، أو السـيد، الأب أو الأخ الأكبر وربمـا عنـي رئيـس الأسرة كلهـا. وفى الدولـة العثمانيـة أطلـق هـذا اللفـظ عـلى الشـيخ أو السـيد وأحيانـا عـلى صاحـب الأرض، وأطلـق كذلـك عـلى رئيـس خـدم البيـت، واسـتخدم في عهـد الإصـلاح ليشـير الي العاملـين في الوظائـف الحربيـة في مقابـل (أفنـدي) الـذي أطلـق عـلى العاملـين في الوظائـف المدنيـة. كـما أطلـق عـلى الخصيـان العاملـين في القـصر والواقفـين عـلى خدمـة السـلطان والأمـيرات. وبعـد الغـاء نظـام الانكشـارية في الجيـش العثـماني في العـام 1826م أصبـح اللفـظ يطلـق عـلى الضبـاط الأميـين حتـى رتبـة قائمقـام في مقابـل كلمـة (أفنـدي) التـي أطلقـت عـلى الضبـاط المتعلمـين في نفـس الرتبـة. أمـا في الحجـاز والمدينـة المنـورة فأطلـق اللفـظ عـلى خُـدّام المسـجدين الشريفـين حـصرا حتـى أصبـح اللفـظ علـما لهـم. ويبـدو أن لفـظ الاغـوات أحـدث مـن مترادفـه لفـظ (الطواشـية) الـذي كان لفظـا معرفـا لهـم في أوقـات سـابقة ويعنـى الطواشـية: المخصيـون ومفردهـا طـواشي.

يـري بعـض العلـماء والفقهـاء إن الخصـاء منهـي عنـه في الإسـلام لمـا فيـه مـن المفاسـد وتعذيـب النفـس البشريـة، وإدخـال الـضرر الـذي يـؤدى الى الهـلاك، وتغيـير خلـق اللـه. وتقـع حرمـة الخصـاء عـلى الفاعـل لا عـلى مـن وقـع عليـه الفعـل إلا إذا كان كبـيرا واختـار الخصـاء فالحرمـة تقـع عليـه وربمـا وقعـت عـلى الفاعـل لأنـه أعانـه عـلى المعصيـة. وعـلى الرغـم مـن ذلـك فقـد ارتبطـت هـذه الممارسـة بظـروف الحـروب والـرق وباسـتخدامهم في خدمـة المناطـق المقدسـة وحراسـة الحريـم وبممارسـات وتقاليـد ثقافيـة معينـة انتـشرت في بعـض المجتمعـات عـلى مختلـف خلفياتهـا. عـلى سـبيل المثـال كانـت بعـض الممالـك الأفريقيـة كمملكـة الفـور في غـرب السـودان تكـرم هـؤلاء الخصيـان وتوليهـم مناصـب عظيمـة كمنصـب (الأبـوة) وهـو مـا يعـادل منصـب رئيـس الـوزراء، ومنصـب القائـد العـام للجيـش. كـما كان لبعـض القبائـل في أفريقيـا (مثـل قبيلتـي عفـار وتقـري الأثيوبيتـين) تقليـد قديـم يقـضى بـأن مـن أراد الـزواج فعليـه أن يثبـت رجولتـه بخـصي شـخص مـن قبيلـة أخـري، فـكان أفـراد هاتـين القبيلتـين يتعرضـون للهجـوم مـن بعضهـا البعـض وكـثرت هـذه الممارسـة بينهـما نتيجـة لذلـك وتفشـت.

الاغـوات هـم أشـخاص بمواصفـات خاصـة فهـم مخصيـون اهـدوا أو نـذروا أنفسـهم لخدمـة المسـجدين الشريفـين في مكـة والمدينـة. وتتميـز جماعتهـم بانهـا تعمـل في شـكل مؤسسـة يحكمهـا تنظيـم دقيـق تنظمـه لوائـح وأعـراف داخليـة، بالإضافـة لتميزهـم بالـزي الموحـد حسـب الرتـب. ويُعتقـد أن نظـام الاغـوات ظهـر في الدولـة الإسـلامية في نهايـة العـصر الأمـوي، وان اول دخـول الأغـوات في خدمـة الحرمـين كان في عهـد السـلطان نورالديـن زنـكي (511 - 569 هـ / 1118 – 1174م) الـذي أرسـل في عـام 557هـ/1161م اثنـي عـشر خادمـا الى الحـرم المـدني ليكونـوا سـدنة لقـبر الرسـول الكريـم. واشـترط

أن يكونوا حفاظاً للقرآن الكريم ولربع العبادات وأن يكونوا حبوشاً، فإن لم يكونوا فأروماً، فإن عدموا فتكارنة، فإن لم يوجدوا فهنوداً. ثم زادهم السلطان صلاح الدين الأيوبي (532 - 589 هـ/ 1138 - 1193م) اثني عشر آخرين وأوقف لهم الأوقاف. بدأ نظامهم في الظهور والترتيب في عهد الدولة المملوكية فأصبح لهم شيخ يأتمرون بأمره ومشيخة تنظم أمورهم. وكان نظامهم على مر العصور مدعوما بالنظام الرسمي للدولة فصدرت بذلك الأوامر والفرمانات السلطانية وايد السلاطين احتفاظهم بحقوقهم المكتسبة وامتيازاتهم وأوقافهم وأملاكهم.

التحق الاغوات بخدمة الحرمين الشريفين بعدة طرق من بينها: أن ترشحهم للخدمة السلطة الحاكمة في البلاد الإسلامية، كالسلطة العثمانية أو سلطة المماليك أو نحو ذلك، وتقوم بإرسالهم للعمل في الحرمين خدمة للاماكن المقدسة وللمسلمين. من بينها أيضا أن يقوم الملوك أو السلاطين في أفريقيا والمغرب والسودان بإرسال هؤلاء الاغوات كهدية ليقوموا بخدمة الحرمين الشريفين. ومنها أن الاغوات العاملين في الحرمين الشريفين كانوا يبحثون عمن تنطبق عليه شروط العمل في بلدانهم، ثم يرشحونهم للالتحاق بالخدمة فيتم بعد ذلك استقدامهم وتعيينهم. وربما كان الاغوات مماليكاً فاعتقوا وأتوا بطوعهم للخدمة في الأراضي المقدسة. وربما كانوا من الرقيق الذين انتهي بهم الأمر في بيوت الأمراء أو السلاطين الذين قاموا بدورهم بإهدائهم للعمل في المسجدين الشريفين تبركا وتقربا.

كان الاغوات خلال عهد الدولة الزنكية (644-521هـ/1127 - 1250م) يتألفون من الأحباش أو الروم والتكارنة أو الهنود. ولكن مع مرور الوقت أسهمت بعض الجنسيات في خدمة الحرمين الشريفين فأرسل سلاطين السودان والمغرب الخصيان لخدمة الحرمين الشريفين. وبحلول العام 1230هـ/ 1814م كان الاغوات يتألفون من جنسيات مختلفة وان كان معظمهم من السود وقليل منهم من الهنود. ثم انحصر تعيينهم بعد ذلك في الأحباش والسودانيين.

كان للأغوات تراتبية معينة في نظام تعيينهم وسلم خدمتهم تحدد الأقدمية في الخدمة والمهام المتوقعة من كل فئة، وهي تشبه الرتب العسكرية وما يتبعها من واجبات ونفوذ. تحدثت المصادر عن هذه الرتب وان لم تجمع على وصفها بترتيب واحد، فكل مؤرخ وصفها بتنظيم دون الآخر. ولم يتفق المؤرخون على نظام ثابت في تحديد وظائف الاغوات ومراتبهم في العمل. وربما كان لتغير الظروف وتبدل الأيام والعصور دور في هذا التباين. وعلى كل حال يمكن استخلاص اهم المناصب والمراكز التي شغلها الاغوات في الحرم المدني والتي ذكرها المؤرخون في ثنايا كتاباتهم وعددها أربع عشرة مرتبة ووصفوها وصفا مفصلا.

أول هذه المراتب كانت شيخ الحرم والذي كان يتم اختياره من أكبر الاغوات وأقدمهم في الخدمة ثم صار إرساله في أواخر عصر الدولة المملوكية (923-648هـ/ 1517-1250م) قائما على النفي والتأديب. أما في عهد الدولة العثمانية فكان إرساله يتم من الاغوات العاملين في البلاط السلطاني الذين ترقوا الى رتبة (قزلر أغاسي) أو (قزلار أغاسي) وهي تعني بالتركية الوكيل أو مسئول الحريم في القصر السلطاني. ثم أصبح اختياره يتم من بين الوزراء الذين كانوا فى الغالب ينتمون

للعائلة السلطانية. وأحيانا كان عسكريا برتبة فريق أو مشير، ثم صار تعيينهم في معظم فترات العصر العثماني يقتصر على أغوات السلاطين العثمانيين كل عام أو عامين وذلك رهنا بالظروف في المدينة المنورة وخلوها من الاضطرابات ومدي كفاءه الشيخ كحاكم لها في إدارة الأمور فيها.

يلي شيخ الحرم وظيفة نائب شيخ الحرم وهو أيضا من الاغوات الذين ترسلهم الدولة العثمانية وربما كان برتبة عسكرية رفيعة. وهو يقوم مقام شيخ الحرم في حالة مرضه أو موته أو نفيه حتى تأتيه الأوامر العليا. ومن مهامه النظر في أوقاف الاغوات في المدينة المنورة. المنصب الثالث هو شيخ الاغوات ويعرف أحيانا بشيخ الخُدّام ويكون عادة أقدم الاغوات الموقوفين لخدمة الحرم النبوي والحجرة الشريفة، وهو أعلاهم وظيفة، وهو الناظر في أمورهم، والواقف على أحوالهم والمسئول عن أعمالهم ومهامهم. وكان أحيانا يتولى منصب شيخ الحرم، وله كلمة نافذة، وتصرف تام، ويد مبسوطة، وأحكام نافذة، ويطيعه الكبراء والأشراف وحتى العسكر يأتمرون بأمره، وينفذون أحكامه، كما ينفذ أمره كل من كان تحت رئاسته. وكان يصدر بتعيينه مرسوم سلطاني من أمام المسلمين، وكان الملوك يقومون له ويجلونه. من اهم أعماله الإشراف على كل أعمال الأغوات وتوزيع الأعمال عليهم وتحديد مسئولية ومهام كل واحد منهم.

يلي منصب شيخ الأغوات منصب الخازندار ويكون عادة من أغوات السرايا السلطانية، ويرسل عادة من الباب العالي بعد منحه رتبة عسكرية رفيعة، ومن مهامه الأشراف على خزينة الحرم النبوي. ويلي الخازندار وظيفة المستسلم أو مستلم الحرم الشريف، وهو مسئول عن مفاتيح الحجرة الشريفة، كما يشرف على حواصل الشمع والزيت وسائر مصالح الحرم النبوي، ويشرف على أوقاف الاغوات بالمدينة وعلى الهدايا التي تُهدي إليهم. يلي ذلك منصب نقيب الأغوات، وهو ينوب عن شيخ الاغوات في حال غيابه لأي سبب ويسير الأمور كما يفعل شيخ الأغوات، وهو يحل محل شيخ الاغوات إذا توفي خلفه بالتسلسل. يلي ذلك أمين الاغوات، وهو خليفة نقيب الاغوات بالتسلسل أيضا، وهو يساعده في العمل ويرفع اليه خلافات الاغوات. ترد بعد هذه المرتبة سبعة مناصب ومراتب لوظائف الاغوات لكل منهم مسئوليات ومهام خاصة فمنهم مشدى الاغوات وهو رئيس حراس الحجرة النبوية، والخبزي وهو مسئول توزيع العمل بين الاغوات، ونصف الخبزي وهو اقل مرتبة من الخبزي. وإذا توفي أحد الخبزيين ترقي نصف الخبزي الى خبزي. والبطالون وهم المستجدون من الاغوات. وأولاد العمل وهم الاغوات الذين ينامون في الحرم لمدة سبع سنوات متواصلة حتى تتم ترقيتهم الى شيوخ بطالين. والمتفرقة وهم الذين يلون أولاد العمل في المرتبة. وأخيرا البوابون الذين يلازمون الحجرة الشريفة وعددهم عشرون بوابا ومهمتهم حراسة الأبواب في الحرم المدني ليلا ونهارا ومراقبة دخول وخروج المصلين. ولا تتم الترقية من مرتبة الى أخري إلا عند خلو المرتبة بالوفاة. وجميع الاغوات يعملون بنظام التناوب ويحترم صغيرهم بالرتبة كبيرهم ويحترم سائرهم شيخهم احتراما كبيرا.

كانت للأغوات مرتبات يتسلمونها وأوقاف أوقفت لهم داخل مكة والمدينة والطائف والأحساء بالمملكة العربية السعودية، وفي بعض البلدان الإسلامية الأخرى مثل مصر والعراق

والمغرب واليمن. وتدر هذه الأوقاف عليهم أموالا طائلة، لكنهم لا يورثون ولا تحقّ لهم هبة أموالهم من الأوقاف أو التصرف بها، بل تحوّل بعد موتهم إلى أقرانهم الأحياء على شكل أوقاف أيضاً. وقد أصبحت أوقافهم الآن تساوي مئات الملايين، وتتوزع بين فنادق وعمائر وأراضٍ على وجه الخصوص في مكة والمدينة.

كان الاغوات يتزيون بأزياء بيضاء ناصعة. وعندما يجمع شيخهم بين شياختهم وشياخة الحرم يلبس عباءة لطيفة على ثوب من الحرير المطرز حسب طريقة العاصمة إسطنبول ويربط على وسطه حزام مرصع بالجواهر وعليه خنجر ويضع طاقية عالية على الرأس. ويبدو أن تغييرات كثيرة مرت على طريقة لبس وشكل الزي الذي يظهر به الاغوات حيث اقتصر لبسهم في نهاية الألفية الأولى (1998م) على عباءة تسمي الفرجية أو الدقلة والعمامة والقاووق وهي غطاء للرأس يشبه الطربوش وعليه شارة من حرير اخضر تسمي الشوشة. ويُوضع على الكتفين شال من الصوف، كما يُربط حزام من الحرير على الوسط ويتدلى طرفاه على الفخذين. وهذا اللبس هو ما كان رتبه لهم السلطان سليمان القانوني (900 - 974هـ/ 1495 - 1566م). وتشير طريقة لبس الشال أو الحزام أو القاووق الى مرتبة الشيخ وربما اختلفت في وقت العمل عن وقت الراحة أو مباشرة الضيوف. ويبدو إن طبيعة الزي كانت تحدد مرتبة الأغا نفسه فقد ذكر بيركهاردت إن ملابس شيخ الحرم كانت أفخم مظهرا كملابس الأمراء، أما لبس الاغوات الأقل في المرتبة فهم يلبسون عباءات استانبولية عليها حزام يشد من الوسط، ويحملون عصي في أيديهم، ولا يشتمل لبسهم على أية شارات يلبسونها.

لعبت هذه الطائفة دورا مهما في خدمة المسجدين الشريفين حيث كانوا يتكفلون بحفظ النظام والهدوء في المسجدين الشريفين وإضاءتهما ونظافتهما وحراستهما وخدمة الإمام في يوم الجمعة والإجمار وغيرهما. كما شملت مهامهم أيضا المشاركة في غسل الكعبة المشرفة في مكة مع بني شيبة وأمير مكة مرتين أو ثلاث مرات في العام. كما كانوا يشاركون في غسل الحجرة النبوية الشريفة وتجميرها وتعطيرها في المدينة مع كبار رجالاتها ثلاث مرات في العام. إضافة الي تغيير الكسوة الشريفة لقبر الرسول الكريم عند الحوجة لذلك، أو عند اعتلاء سلطان العرش. ومن مهامهم أيضا إخراج المصحف العثماني المحفوظ في الحجرة الشريفة ليقرأ فيه عالم مشهود له بالصلاح إذا حلت بالناس نازلة من وباء أو مجاعة أو حرب أو نحو ذلك. وكان الاغوات في الحرم المدني يحتفظون بمفاتيح الحجرة الشريفة وأبواب المسجد النبوي ومفتاح منبر الإمام، كما شملت مهامهم أيضا استقبال الملوك والأمراء والسلاطين القادمين لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقديم واجب الخدمة لهم. وكانت معظم هذه المهام تؤدي تبعا لتقاليد أو مواقيت معينة وبعضها بمشاركة شعبية واسعة.

كان للأغوات مكان مخصص لجلوسهم في الحرم المدني يسمي (دكة الأغوات) على يسار مثوي النبي صلى الله عليه وسلم وفي مواجهة المقصورة الشريفة من الناحية الشمالية، طولها اثنا عشر متراً وعرضها ثمانية أمتار وارتفاعها ثمانين سنتمتراً، وعليها درابزين من النحاس الأصفر. وقد

كان هذا المكان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مكانا لأهل الصفة من فقراء المهاجرين. كما كان يقع خلفها نحو ستين دولابا يضع فيه الاغوات حوائجهم. كما كان لهم مخزن ملاصق لمكان جلوسهم. وقيل إنه على هذه الدكة كانت توزع المرتبات والهبات والصدقات المخصصة لبعض سكان المدينة المنورة من غير الموظفين الرسميين طبقا لسجلات رسمية. وكان الأغوات يستريحون فيها بين الصلوات ويؤدون الأذكار ويتلون القرآن. ولاتزال هذه الدكة موجودة الى يومنا هذا.

سكن الاغوات في المدينة المنورة في أقرب حارة للحرم المدني وكانت تسمي حارة الاغوات. وكانت تحوي عددا من الزقاقات. وكانت منازلهم تتألف من طبقة أو طبقتين، وبلغت نحو الأربعين بيتا من أعظم البيوت وأحسنها. وقد أزيلت الحارة في التوسعة التي جرت في الحرم المدني في العام 1403هـ/ 1983م في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (1921 - 2005م) رحمه الله. وكان للأغوات في المدينة المنورة عادات يحافظون عليها في الأعياد فكانوا يجلسون في دكة مخصوصة في الحارة فيأتي الناس يسلمون عليهم في يوم العيد وفى المناسبات الأخرى المختلفة. وكانوا يزينون أعمدة هذه الدكة وجدرانها في الأعياد بالستائر الخُضر التي كانوا يحصلون عليها بعد تغيير كسوة الحجرة النبوية الشريفة.

أما أغوات الحرم المكي فكانوا يجتمعون في مكان يطلق عليه (حوش الخُدّام) ويقع في حي (الشبيكة) من أحياء مكة. وبالمكان مقعد الاغوات يرتادونه في أوقات فراغهم وبخاصة في الأمسيات فيتسامرون ويتجاذبون أطراف الحديث. بعد بناء فندق (الحرم) وهو من أوقاف الأغوات بُنيت لهم دكة مخصوصة بجوار الفندق بدلا عن دكتهم السابقة. وكان لهم حجرة في المسجد المكي تقع في الجهة الجنوبية من بناية زمزم تسمي (حجرة الأغوات) كانت مخصصة لتخزين أدوات العمل التي تعينهم في النظافة وما الى ذلك. وكانت تخزن فيها الشموع التي توقد ليلا على باب الكعبة. وبجانب هذه الحجرة كان باب الدرجة التي يصعدون منها الى المظلة التي تعلو بئر زمزم في مبناه الذي أزيل في التوسعة السعودية لصحن المطاف. أما أماكن سكناهم فى مكة فكانت معظم منازلهم تقع حول الحرم في احياء (الهجلة) و(الشبيكة). وحاليا يسكن بعضهم في فلل فخمة يملكونها في مخطط الأمير احمد في مكة.

حظي الأغوات بمكانة اجتماعية مميزة في المجتمع في مكة والمدينة من واقع خدمتهم لأشرف البقاع المقدسة واجلّ الخلق أجمعين. فكان العامة يظهرون لهم التقدير والاحترام بتقبيل أياديهم. وكان الحجاج من الأفارقة يلازمونهم ويخدمونهم بكل إخلاص. وكان السلاطين يظهرون احترامهم للأغوات حيث كان شيخهم يتولى أحيانا مشيخة الحرم النبوي فكان يُعد أحد عظماء المدينة يبجله الناس من كبيرهم لصغيرهم. وكان السلاطين العثمانيون ينتدبون الأغوات في بعض الأحيان للقيام ببعض الأمور والمهام الجليلة. وكانوا يحظون بنفس المكانة المميزة والاحترام إذا عادوا لزيارة بلدانهم. إضافة الى التكريم والتقدير الذي عاملهم به المسلمون من زوار الحرمين وكذلك ملوك وأمراء الدول الإسلامية الذين كانوا يجلونهم ويحترمونهم ويحسنون إليهم حتى انه كانت تُرتب لهم زيارة رسمية للسلام على ملك المملكة العربية السعودية في كل عام.

كان الأغـوات لا يرتـادون المقاهـي والأماكـن العامـة ولا يحـضرون الحفـلات وخاصـة مجالـس الطـرب، ولا يلبسـون الخواتـم أو السـاعة أو يرفعـون الشمسـية عـلى رؤوسـهم أو لا يتعاطـون الدخـان. وكان الأغـا منهـم لا يلبـس ثوبـا أو إزارا رقبتـه مفتوحـة، ومـن يفعـل ذلـك يُعاقـب بالـضرب حيـث كان نظامهـم الداخـلي يسـمح بمعاقبـة المخطـئ منهـم بالجلـد عنـد إسـاءة السـلوك. فـكان الأغـا الـذي تتـم إدانتـه بسـوء السـلوك يُـضرب عـلى قدميـه بعـد ربطهـما بعصـا مـن الخيـزران حتـى يشـفع فيـه أحـد الحاضريـن فيتقـدم ويقبـل يـد شـيخ الأغـوات ويطلـب مسـامحة الاغـا المخطـئ ثـم تقـرا الفاتحـة في نهايـة الأمـر. ويشـمل الأغـا العقـاب إذا أسـاء الى أحـد في الحـرم أو السـوق أو وصلـت عنـه شـكاية الى شـيخ الحـرم مـن أحـد النـاس. أمـا إذا رفضـوا الخضـوع للتأديـب فيمكـن أن ينتهـي الأمـر باسـتبعادهم مـن الخدمـة. وكان الأغـوات في المـاضي يشـترون الجـواري ويملكـون عليهـن. ولكنهـم بعـد الغـاء الـرق في المملكـة العربيـة السـعودية في العـام 1962م بـدأوا يتزوجـون عـلى سـنة اللـه ورسـوله، ليـس لأجـل العلاقـة الزوجيـة ولكـن مـن اجـل أن تقـوم الزوجـة عـلى خدمتـه إذا مـرض أو كـبر. وكانـوا غالبـا مـا يتزوجـون مـن جنسـياتهم مـن أرامـل لديهـن أولاد ويرغـبن في زوج يسـاعدهن في تربيـة أطفالهـن. ويحضروهـن وأطفالهـن الى المملكـة بتأشـيرة خـدم تحـت كفالتهـم. وكان أقـارب الأغـوات مـن بلدانهـم الأصليـة يزورونهـم في موسـم الحـج، وفي كل الأوقـات.

كان للأغـوات أثـر اجتماعـي كبـير في مجتمـع المدينتـين المقدسـتين ومنهـم مـن اتجـه الى القيـام بأعـمال الخـير والعلـم والتفقـه في أمـور الديـن ومسـاعدة المحتاجـين وبنـاء المـدارس والمسـاجد والأربطـة. وعـلى الرغـم مـن تمتعهـم بمكانـة سـامية وعظيمـة وقيامهـم بالجليـل مـن الأعـمال فقـد تـرك بعضهـم اثـرا سـلبيا في الحيـاة السياسـية عـلى وجـه الخصـوص في المدينـة المنـورة. وربمـا كانـت المكانـة المميـزة التي حظي بهـا شـيخ الأغـوات إضافـة الى السـلطات الواسـعة التـي كانـت الاسـتانة تفوضها لشـيخ الحـرم المـدني وبالتالي للعاملـين معـه سـببا في تـورط بعـض الأغـوات في فـتن نشـبت في مجتمـع المدينـة المنـورة مثـل فتنـة جماعـة العهـد التـي وقعـت في سـنة 1134هـ/ 1721م في عهـد الشريـف مبـارك بـن احمـد بـن زيـد وهـي الفتنـة والتـي انتهـت بإعـدام أحمـد عبـد الكريـم البرزنجـي وهـو أحـد خطبـاء المدينـة المنـورة.

مـع بدايـة العهـد السـعودي صـدر مرسـوم ملـكي مـن الملـك عبـد العزيـز آل سـعود (1876م1953-م) يقـر أغـوات الحـرم المـكي عـلى أمورهـم الخاصـة وعـلى مـا كانـوا عليـه، ويقـرر انـه لا يحـق لأحـد أن يعـترض عليهـم أو يتدخـل في شـؤونهم. وبعـد وفاتـه أيّـد ابنـه الملـك سـعود بـن عبـد العزيـز (1902م1969-م) تقريـر والـده. وفي العـام 1971م نـص قـرار لمجلـس الـوزراء عـلى أن يبقـى الأغـوات عـلى عاداتهـم وتقاليدهـم فسـاهم ذلـك في الحفـاظ عـلى نظامهـم واسـتقلاليتهم لوقـت طويـل. فيـما بعـد أصبـح الأغـوات يتبعـون وظيفيـاً لإدارة شـؤون المسـجد الحـرام والمسـجد النبـوي. وتتـولّى هـذه الإدارة شـؤونهم وتـصرف مسـتحقاتهم ورواتبهـم وأي إكراميـات تمنـح لهـم وتديـر الأوقـاف الموقوفـة لهـم والمنتـشرة في داخـل المملكـة وخارجهـا.

تشـير المصـادر إلى أنـه تـم منـع تعيـين المزيـد مـن الأغـوات منـذ العـام 1978، عـلى إثـر فتـوى أصدرهـا سـماحة مفتـي عـام المملكـة العربيـة السـعودية الشـيخ عبـد العزيـز بـن بـاز (1999-1912م)

رحمه الله لمّا بلغه أن أهل الأغوات في الحبشة يخصونهم ويهبونهم للخدمة في الحرمين الشريفين، وقال «إن الخصاء بدعة لا تجوز ولا أصل لها في الدين وأنه فيه تشجيع الاعتداء على الغير بهدف الوصول إلى شرف خدمة الحرمين» وأبرق الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بذلك فامر رحمه الله بإيقاف استيعاب المزيد من الأغوات في العمل.

بدأ عدد الأغوات في انحسار مستمر في المسجدين الشريفين منذ ذلك الوقت. ففي نهاية الثمانينات كان عدد الأغوات قد تقلص بالفعل في المسجدين الشريفين الى أربعة عشر أغا في مكة وستة عشر في المدينة. وبحلول العام 2023م تقلص عددهم الى واحد في المدينة وأربعة في المسجد الحرام وبات نظامهم قاب قوسين أو ادني من الانقراض بعد أن تخطّى عمر أصغرهم حاجز التسعين سنة. وتحولت كثير من مهامهم الى مهام تشريفية مثل استقبال الملوك والأمراء والوفود وحفظ مفاتيح الغرفة الشريفة. وتوقفوا عن أداء معظم مهامهم بسبب كبر سنهم وحالتهم الصحية فأصبح عدد قليل جداً منهم يحضر للمسجد للصلاة فقط ثم ينصرفون.[1]

فقد نظام الأغوات متعدد المهام بعض وظائفه والتي استقلت بها تنظيمات أخري نتيجة للتغيير الاجتماعي المستمر والتطور الاقتصادي المطرد. فعلى سبيل المثال أوكلت أعمال نظافة الحرمين الشريفين الى شركات متخصصة في أعمال النظافة. كما حلت الكهرباء محل إنارة الشموع فقضت بذلك على الأنشطة المتعلقة بإنارة الحرمين والتي كان يضطلع بها الأغوات. بالإضافة الى قيام مؤسسات أخري مثل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض المهام الأخرى التي كان يقوم بها الأغوات مثل منع اختلاط الرجال بالنساء في الحرمين. تبعا لذلك تنبأت الدراسات التي تناولت نظام الأغوات بان مؤسستهم يمكن أن تندثر بفعل التطور والتغيير الاجتماعي والاقتصادي المستمر وأنها تتخلى تدريجيا عن كل أو بعض وظائفها لمنظمات أو مؤسسات أخري.

يمثل اندثار نظام الأغوات في الحرمين الشريفين مع وقف تعيينهم منذ السبعينات ووفاتهم تباعا الى نهايات الألفية الثانية صورة صادقة لتبدل أساليب الحياة في مكة والمدينة. كما يعكس تأثيرات التغيرات الاقتصادية والحضارية المتسارعة التي أدت الي اختفاء بعض أنماط الحياة التقليدية والتي تكيف بعضها بينما اندثر بعضها بالكلية. في هذا السياق يعتبر توثيق التراث الثقافي مهما فحتى لو سلمنا بضرورة التغيير يبقي التوثيق مهمة مفصلية تحفظ للأجيال القادمة صورة صادقة عن الماضي وأنماطه ونظمه بما يعين على فهم الحاضر وتقديره واستشراف المستقبل وتصوره والتخطيط له.

2:3 خمس دراسات وثقت لنظام الأغوات في الحرمين الشريفين:

استطعت أن أحصر الدراسات التي وثقت لنظام الاغوات في الحرمين الشريفين في خمس دراسات. صدرت الأولى (كتاب ورقي) عن معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، في السودان عام 1986م، وصدرت طبعتها الثانية عن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في عام 2005م (المزيدة والمنقحة)، وصدرت الدراسة الثانية عن مركز أبحاث الحج (نسخة رقمية بدون تاريخ). أما الدراسة الثالثة فعبارة عن (ورقة علمية) قُدمت في مؤتمر الجمعية التاريخية السعودية العاشر

الذي جاء تحت عنوان: تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور، والذي انعقد بالمدينة المنورة في العام 2007م، ثم نشرت لاحقا في السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر. وصدرت الدراسة الرابعة (كتاب ورقي) عن مركز تاريخ مكة المكرمة في العام 2021م وهي أحدث الدراسات في موضوع الأغوات. أما الخامسة فاهتمت بالتوثيق عبر الصور الفتوغرافية وهي مبادرة رائدة لتوثيق التراث الثقافي والحضاري للمسجد النبوي من زوايا كثيرة مثل معماره وزخارفه وخُدّامه من الأغوات عن طريق الصور الفتوغرافية. قام بهذه المهمة المصور السعودي عادل القريشي ونشر كتابا مصورا بعنوان (الأغوات) في الرياض في العام 2020م.

1.دراسة احمد عبد الرحيم نصر 1986م: الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة:[2]

كان هذا الكتاب اول دراسة مفصلة عن أغوات الحرمين الشريفين، ويحتوي على ثلاث وتسعين صفحة من القطع المتوسط ويضم تمهيداً ومقدمة إضافة الى صلب الدراسة والتي قسمت في ستة عشر موضوعا مع الخاتمة والمراجع والملاحق من مخطوطات ووثائق.[3]

شملت مواضيع الكتاب التعريف بالكتب التي وردت فيها معلومات عن الأغوات ، اصل كلمة الأغوات، وتاريخ استخدام الخصيان في الحرمين الشريفين، أصول الأغوات، تاريخ خدمتهم في الكعبة والحرمين الشريفين عبر العصور، البحث عن الأغا وكيفية إحضاره وتعيينه في الوقت الحاضر، زي الأغوات ، جلوس الأغوات في مكان خاص بهم، سلم الرتب ، التغيرات التي طرأت عليه، ووظائفهم، طريقة توزيع العمل بينهم، طريقة عقاب الأغا المخطئ، مكانة الأغوات الاجتماعية، مرتبات الأغوات والعاملين في الحرمين الشريفين ودخلهم، أوصاف الأغوات الخلقية الجسمية وما يتميز به أغوات المسجد النبوي عن أغوات المسجد الحرام. وقد أنشأ الباحث خلال ذلك مقارنة حية بين مؤسسة الأغوات قديما وحديثا في سرد تاريخي يعرض عناصر ومراحل التغيير المرحلية التي لازمت المؤسسة.

صدرت طبعة ثانية مزيدة ومنقحة عن هذه الدراسة في العام 2005م عن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوان أغوات الحرمين الشريفين: دراسة تاريخية مقارنة. واحتوت هذه الطبعة على إضافات رأي الباحث أنها مكملة لعمله الأول. من أهم ما تعرض له الباحث في مقدمة الطبعة الثانية كتابات ظهرت في الفترة ما بين الطبعة الأولى والثانية مثل كتاب حارة الأغوات: صورة أدبية للمدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري للكاتب والمؤرخ السعودي عاصم حمدان 1992م). وكتاب (الخصيان والحدود المقدسة في المجتمع الإسلامي للباحثة شون مارمون أستاذة الأديان بجامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية 1995م)[4].

أضاف الباحث في الفصل الأول مبحثا في تاريخ الخصاء والخصيان قبل الإسلام. كما تعرض لممارسة الخصاء قبل الإسلام وبعده في المدينة المنورة وموقف الإسلام تجاه الخصاء. ثم تحدث عن الأغوات في الممالك والسلطنات الإسلامية القديمة وفي مصر المملوكية. كما تعرض لرأى المؤرخ البريطاني ستيفن رونسيمان (1903 - 2000) القائل بأن التركيز على دور الخصيان حراسا للحريم

كان مبالغا فيه لان رئيس الدولة في الحضارات التي استخدمتهم وخاصة البيزنطية لم يكن متعدد الأزواج. وأورد نصر ملاحظة رونسيمان وهي إن الخصيان في كل هذه الحضارات شغلوا مناصب إدارية مهمة، ومن هنا توصل بعض من درسوا مؤسسة الخصيان الى نظرية مفادها إن السبب الرئيسي لتمكينهم هو إخلاصهم للحاكم فهم قد انقطعوا عن مواطنهم وبالتالي لا يطمعون في إزاحة الحاكم. وذكر نصر أن هناك من عارض هذه النظرية متخذا من إمبراطوريات الصين مثالا. فقد كانت كثير من الأسر الفقيرة تخصي أبناءها بأمل أن يلفتوا نظر أحد كبار مسئولي الخصيان ويحققوا عن طريقه أمنية الحصول على وظيفة يتدرجون فيها ومن ثم يحوذون الثروة والنفوذ.

في الفصل الثاني أضاف الباحث مبحثا عن أخلاق الأغوات حسنها وسيئها وتركيز مؤرخي المدينة عليها. وذكر أنهم كتبوا عن حفظهم للقران وتفقههم في الدين وعن جودهم وكرمهم وأعمالهم الخيرة الى اخره. هذا بينما ركز الرحالة الأجانب على وصف بنيتهم وصفاتهم من الغباء أو القبح وغيرها من الصفات غير المحمودة.

في الفصل الثالث أضاف الباحث مبحثا في أزياء الأغوات ورتبهم ووظائفهم ودخولهم. وفصّل في تبدل أزيائهم ورتبهم مع مرور الوقت. كما فصّل في كيفية عقاب الأغا المخطئ وفي توزيع مهام العمل بينهم، وتصديهم لكافة الأخطار التي تعرض لها المسجد النبوي في المدينة. وتحدث في الفصل الرابع عن بعض المواقف والأزمات التي تعرضوا لها في مواجهة الفقهاء وحكام المدينة. وفي الفصل الخامس أضاف مبحثا معاصرا عن وضع الأغوات فتحدث عن عددهم وجنسياتهم (في العام 2005م) كما أورد تعليق معدي صياغة تعريب كتاب هورغرونيه، وتعليق الغزاوي عن تناقص أعداد الأغوات بمرور الوقت. وارجع وكيلهم في عدم تعيين المزيد منهم الى أمر جهات عليا، كما تحدث عن مصير أوقافهم حين تندثر طائفتهم.

2. دراسة سليمان عبد الغني مالكي، احمد عبد الرحيم نصر، سعد الدين أونال (بدون تاريخ): دراسة لأغوات المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريفين: دراسة تاريخية حضارية:

صدرت هذه الدراسة والتي سأشير اليها فيما بعد بمالكي وأونال (د.ت) للاختصار[5] والتي لا يظهر تاريخ معين يوضح وقت صدورها في (كتاب رقمي) عن مركز أبحاث الحج (1975 - 1983م) في 108 صفحة. كانت هذه الدراسة محل تنازع بين اطراف ذكر كل منها انه شارك في اعدادها واجدني مضطرة الى ذكر بعض تفاصيل هذا الامر لبيان مشكلة تطابقهما واضطرارنا مع ذلك للتعامل معهما كدراستين منفصلتين. حوت دراسة مالكي واونال نفسها اسم د. احمد عبد الرحيم نصر كأحد معديها وهي في أساسها دراسة نصر (1986م). ذكر مالكي وأونال تفاصيل في مقدمة كتابهما الإلكتروني قالا فيها أن د. نصر والذي كان منتدبا من جامعة الخرطوم الى معهد أبحاث الحج بين عامي (1982 - 1984م) انفرد بنشر دراسة تمت بشكل جماعي، وان ملكيتها تعود لمركز أبحاث الحج، وان نشرهما لها الكترونيا بعد التعديلات الطفيفة التي اضافاها كانت ردة فعل لنشرها في معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية في السودان في العام 1986م.[6] وقد رد نصر في مقال

له بعنوان (كتاب الاغوات: الفساد في المجال الأكاديمي) على ما ورد في مقدمة مالكي وأونال فوضّح انه عمل بمركز أبحاث الحج لمدة عام ونصف تقريبا وليس لمدة ثلاث أعوام، وانه كان في إجازة دراسية بدليل أن مدير المركز آنذاك د. سامي عنقاوي طلب من مدير جامعة الخرطوم د. عمر بليل انتدابه للمركز إلا أن د. بليل اعتذر لان لوائح الجامعة لا تسمح بدمج الإجازة الدراسية مع الانتداب. وأورد نصر خطابا من سليمان مالكي نفسه لمدير المركز يذكر فيه إن نصر قد انتهي من مسودة بحثه عن الأغوات. وذكر نصر انه سلم نسخة من البحث لمدير المركز لنشره، ولم ينشر لأن بحوث المركز التي تركز على المشاكل العملية للحج كانت تصّف وتطبع وتجلد وتحفظ اى أنها لم تكن تنشر ولا تباع. وعندها نشره معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم.

شكر نصر سعد الدين أونال أحد المعدين وهو تركي لأنه سمح له بالاطلاع على مخطوطة ترجمها للعربية جاء فيها معلومات عن الاغوات، وشكر عمر كراز وهو تركي أيضا. ولاحظ إن الأول جاء في كتاب مالكي وأونال كمعد للدراسة والثاني كجامع للمادة. وأوضح نصر إن ثروت حجازي (الذى ظهر اسمه ايضا فى دراسة مالكي واونال كجامع للمادة) كان مهتما بالتراث المادي ومتابعا لإزالة حارة الأغوات آنذاك، وكان حاضرا لمقابلته مع الأغوات حيث سأل نصر معظم الأسئلة وليس هو. ووضّح نصر أيضا إنه لم يجد في نسخة مالكي واونال تصحيحا أو إعادة صياغة تستحق الذكر، وان استبدال النجوم التي كانت تفصل بين موضوع وآخر بعناوين وضعاها في الفهرست ووضع الهوامش في نهاية كل صفحة بدلا عن وضعها فى نهاية كل فصل والتغيير في ترتيب توثيق المراجع لا يبرر وضع اسميهما كمعدين. وتحدث نصر عن قراءتهما للوثائق ولاحظ انهما تركا وثيقة مشيخة العبدلاب السودانية دون قراءة. وذكر نصر إن إضافات المعدين لا تتعدى نحو ست صفحات إحداها هامش احتل نحو صفحة كاملة بأربعة مراجع.(7) ولعل مقدمة مالكي واونال ورد نصر يوضحان مشكلة تطابق الدراستين بشكل شبه كامل، ومع ذلك فنحن مضطرون للتعامل معهما كدراستين وليس كدراسة واحدة، خاصة فى ضوء صدور الطبعة الثانية التى قدمها نصر لكتابه وحين نقارن بين الدراسات.

3. دراسة محمود احمد محمد قمر 2007م: تاريخ الأغوات ودورهم الحضاري في المدينة المنورة:

قُدمت هذه الدراسة، والتي تتكون من 172 صفحة في المؤتمر العاشر للجمعية التاريخية السعودية والذي انعقد في شهر مايو من العام 2007م بالمدينة المنورة، ثم نُشرت لاحقا في السجل العلمي للجمعية التاريخية السعودية. [8] يقرر الباحث في مقدمته انه هدف من دراسته الى البحث في تاريخ الأغوات ودورهم الحضاري في المدينة المنورة (حصرا، بمعنى أن بحثه يركز على أغوات الحرم المدني) في محاولة لإبراز دورهم الاجتماعي والسياسي فى مجتمع المدينة المنورة. ويري الباحث انه على الرغم من أن هذه الشريحة كانت لها بعض الآثار الإيجابية في مجتمع المدينة المنورة مثل إنشاء المساجد والأربطة والزوايا، إلا أن بعضهم انصرف عن واجباته الأصلية ودخل في حروب وصراعات مع أهل المدينة المنورة أُزهقت فيها أرواح العديد من الناس.[9] أورد الباحث

بعض أسئلة البحث وطريقة تقسيم المباحث ومحتواها، وقسم دراسته الى مقدمة وخاتمة وأربعة مباحث. خصص المبحث الأول للتعريف بالأغوات وجنسياتهم، والثاني للبحث في التنظيمات الخاصة بالأغوات، والثالث الى اهتمام الملوك والسلاطين بخدمة المسجد النبوي واهم أعمال الأغوات. وتناول في المبحث الرابع الدور الحضاري للأغوات في المجتمع المدني. وفي نهاية الدراسة وضع الباحث سجلا كاملا مصنفا ومرتبا لمصادر ومراجع الدراسة إضافة الى الملاحق.

4. دراسة سحر بنت علي دعدع2021م: أغوات الحرمين الشريفين عبر العصور: دراسة تاريخية حضارية:

صدرت في العام 2021م عن مركز تاريخ مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية دراسة أخرى مهمة للباحثة سحر بنت علي دعدع في (كتاب ورقي) من 259 صفحة من القطع المتوسط احتوي على أربعة فصول وتمهيد ومقدمة وخاتمة. وألحقت الباحثة في نهاية دراستها سجلا كاملا للمصادر والمراجع مقسمة ومصنفة ومرتبة، إضافة الى الملاحق فى نحو احدى وأربعين صفحة كاملة (185-226) والتي تنوعت بين الوثائق والجداول والصور.

فيما يخص ترتيب الفصول والمباحث: تحدثت الباحثة في التمهيد عن أصل كلمة الأغوات ومعانيها ومرادفاتها. بينما اشتمل الفصل الأول على تاريخ الأغوات قبل خدمتهم في الحرمين الشريفين، وتاريخ مهنة الأغوات في الحرمين الشريفين. وتضمن الفصل الثاني تفصيل نظام تعيين الأغوات وشروط توظيفهم ورتبهم وزيهم.

بحث الفصل الثالث في الوضع الاقتصادي للأغوات على مر العصور فوضح رواتب الأغوات وأوقافهم في مكة والمدينة، والإحساء وبعض دول العالم الإسلامي، إضافة الى دراسة وعرض أوجه أخري لكسب الأغوات المالي كالهبات والهدايا. وتعرض الفصل لأصول الأغوات، وأوصافهم الخلقية والخُلقية، ومظاهر حياتهم الاجتماعية من أحياء سكنوها، وعادات وتقاليد مارسوها، ولغات ولهجات تحدثوا بها، ومكانتهم الاجتماعية التي حازوها في مجتمع المدينتين المقدستين. وتحدثت الباحثة في خواتيم عملها عن المنظور الشرعي والديني لأغوات الحرمين الشريفين، وأوردت ملحقاته من مصادر ومراجع ووثائق وجداول وصور، ومن ثم أوردت كشافا عاما لأسماء أهم الشخصيات التي وردت في متون البحث وأرقام الصفحات التي وردت فيها.

5. تجربة المصور السعودي عادل القريشي فى التوثيق لنظام الاغوات عبر الصور الفتوغرافية 2020م: الاغوات:

أصدر المصور السعودي عادل القريشي فى الرياض فى العام 2020م كتابا مصورا وثق للمسجد النبوي القديم باكمله لكن المصور اختار له اسم (الاغوات)، [10]على الرغم من أن الكتاب ليس حصراً عليهم إلا أن القريشي رأى انهم العنصر الذي فرض نفسه، ولأنه رأى انه إذا صنع أحدهم كتاباً عن المسجد بعد عشر سنوات فلربما لن يكون هناك وجود للأغوات، كما صرّح بانه وجد في اختيار اسمهم عنوانا لكتابه إبرازا لحقهم إعلامياً وتاريخياً.[11] ومن المعلوم أن المملكة العربية السعودية أولت اهتماما متزايدا لبعث وإحياء وحفظ التراث الثقافي في السنوات الأخيرة. وشهدت

مناطق كثيرة من المملكة حركة واسعة لبعث التراث الوطني والاحتفاء به ودراسته وتوثيقه. وقد أثمر هذا الحراك الثقافي عن تسجيل العديد من مواقع التراث الثقافي السعودي ضمن قائمة اليونسكو للتراث الثقافي المادي، كما سجلت العديد من أنماط الفنون التقليدية ضمن قائمة روائع اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي.

نتيجة لهذا الاهتمام وجه أمير منطقة المدينة المنورة الأمير فيصل بن سلمان (أمير منطقة المدينة المنورة منذ العام 2013م وحتى يناير 2024م) بأهمية إجراء نوع من التوثيق عبر الصور أو الرسومات للأغوات بعد أن شاهد أغوات المسجد النبوي وأحس بأهمية توثيق حياتهم، خصوصاً وأنهم آخر جيل من خُدّام الحرم النبوي، وانهم يمثلون في أنفسهم وحيواتهم حالة خاصة في تاريخ الحرم النبوي الشريف في طريقها للاختفاء مع كبر أعمارهم ووفاة الكثيرين منهم. وتم تكليف المصور المحترف عادل القريشي، الذي كان مهتماً بتصوير النواحي القديمة فى المسجد النبوي، بتصويرهم وهو نوع من التوثيق لا يقل أهمية عن الكتابات الأكاديمية بل انهما يمكن أن يكونا مكملين لبعضهما البعض.

استغرقت مهمة التصوير فترة سبع سنوات. كان عدد الأغوات في المسجد النبوي عندما بدأ القريشي مهمته عشرة أغوات وعندما انتهي كان عددهم قد تناقص الى خمسة. عرضت صور الأغوات لاحقا في عام 2014 ضمن معارض للصور الفتوغرافية فلاقت تفاعلا كبيرا، ودخل عدد منها في مجموعة المتحف البريطاني. وقام المصور أيضا بالتوثيق لمفاتيح الحجرة النبوية والتى ظلت لزمن طويل خارج دائرة الضوء، فهناك تنبيه بألا يرى المفتاح أحد غير حامله. كما ساهمت الصور في توثيق بعض التغييرات التي طالتها ايدى التجديد والتحديث في المسجد النبوي فعلى سبيل المثال يقول المصور انه «يمكن أن يقوم بالتقاط صورة لجانب معين ليجد بعد فترة أن يد التجديد مرّت عليه»، وبالتالي تصبح الصور التي التقطها سابقا له بمثابة تسجيل وتوثيق. (12)

3:3 مقارنة بين الدراسات التى وثقت لنظام الاغوات فى الحرمين الشريفين:

التعريف بلفظة الأغوات:

عرضت كل الدراسات لتعريف لفظة الاغوات وأضافت دراسة نصر 2005م لفظين يندر استخدامهما للإشارة الى الأغوات وهما (الممسوح) وهو من ذهبت خصيتاه وذكره بالكلية و(المجبوب) وهو الذى ذهب ذكره دون خصيتيه. واشارت كذلك الى تسميتهم بلفظ (سدنة) حيث ذكرت أن لفظ الأغوات نفسه لفظ حديث فذكرت إن مؤرخين مثل ابن جبير أشاروا إليهم بلفظ (السدنة)، كما يسميهم مؤرخو القرن الثامن والتاسع الهجري/ الرابع عشر والخامس عشر الميلادي وحتى مؤرخي العصر العثماني يسمونهم أحيانا (خُدّاما)، وهو لفظ كان يشير في هذه المصادر القديمة الى معنى (رقيق خصي) حيث دلت أسماؤهم (مثل عنبر ومرجان وفيروز وكافور وريحان الخ) على أن أصلهم رقيق ، وهى دلالة لم يذكرها قمر 2007م. أما دراسة سحر فكررت ما هو مذكور فى الجزء الأول من هذا المقال.

أصل الإخصاء:

في طبعتها الثانية 2005م، أضافت دراسة نصر مبحثا في الفصل الأول في تاريخ الخصاء والخصيان حوي خلفية تاريخية عن ممارسة الخصاء وأول من سن هذه الممارسة. حيث ذكر أن

هناك اختلافات تاريخية عن بداية ظهور هذه الظاهرة، فهناك من ذكر إن اول من سنها البابليون أو الآشوريون أو الروم حيث استخدم الخصيان في المعابد والبلاطات الهندوسية وفى حراسة وخدمة الحريم وفى الكنائس. بينما تقول بعض الآراء إن الإمبراطورية البيزنطية استخدمتهم في وظائف رسمية في الدولة كما احترفوا الغناء والرقص. كما ذكر مراكز الإخصاء التي كانت معروفة فى العالم. ثم تعرض لممارسة الخصاء قبل الإسلام وبعده في المدينة المنورة وموقف الإسلام تجاهه.

واحتوي هذا المبحث على مناقشة قيمة لكتاب شون مارمون أستاذة الأديان بجامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية (الخصيان والحدود المقدسة في المجتمع الإسلامي 1995م). حيث أشار الباحث الى أن دراسة مارمون وعلى الرغم من أنها لم تؤرخ للأغوات إلا أنها استكشفت، كما تقول جانبا هاما من المجتمع الإسلامي قبل تحديثه وهو مفهوم التوسط mediation حيث ركزت على دور الأغوات كوسطاء في مقام المقدس. ففي الدولة المملوكية على سبيل المثال قالت مارمون انهم كانوا وسيطا بين الزوج أو السلطان وحريمه. وكانوا وسيطا أيضا بين الحاكم والمحكوم إذ كان الأفراد من الرعية لا يقابلون الحاكم إلا عبرهم. والأغا الذي يحرس ضريح السلطان لا يسمح بدخول الغرباء الى هذا الضريح، وكذلك الحال في قبر الرسول (ص) فلا يستطيع أحد الدخول الى الحجرة الشريفة إلا عبرهم. وأضافت مارمون إن الأغا بهذا التفصيل: (حي وميت) إنما يكون وسيطا بين الأحياء والأموات لأنه منقطع النسل. ناقش الباحث آراء مارمون وتحليلاتها التي وصفها بانها تحليلات ممتعة وفيها إعمال للعقل لكنها كأي تحليل اخر يمكن أن يعتريها القصور. وعلق على آرائها من زاوية أنها مستشرقة غير مسلمة وان بعض المستشرقين لا يميزون بقصد أو بدونه بين المجتمع الإسلامي في القران والسنة والمجتمع المسلم الذي يتوق الى المجتمع الإسلامي ويطمح أن يكون مثله. وبانعدام هذه الميزات علّق الباحث: «إن بعض العلماء الغربيون ينقلون الى قرائهم مفاهيم خاطئة عن الإسلام، وربما عكست أن مفهوم الخصاء والحريم وحتى اللواط مثلا مفاهيم إسلامية». وفصّل في مناقشة آراء مارمون عن الوساطة والمقدس، وأشار الى أن مارمون لم تطلع على كتابه في طبعته الأولى رغم توفر نسخ منها في مكتبة الكونغرس وغيرها. (13) لم تورد دراسة قمر 2007م، ودراسة سحر 2022م معلومات عن تاريخ الإخصاء كممارسة قبل الإسلام، واكتفت كلتا الدراستين بمعلومات عن موقف الإسلام من الخصاء.

أول من ابتكر تعيين الأغوات:

ليس ثمة اتفاق بين المؤرخين القدماء على من استخدم الأغوات في الحرم المدني أولا، فقال بعضهم انه السلطان نورالدين زنكي في عام 557هـ / 1161م وقال آخرون انه الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي في فترة حكمه (567 - 581/1171 - 1192م). وفى القول روايتان: الأولى إن طواشية (أغوات) نورالدين تطلعوا الى خدمة وحراسة الحجرة الشريفة بدلا عن خدمة الأحياء وحراسة أضرحة السلاطين والملوك لكن نورالدين لم يكن مقتنعا بذلك إذ لم يسبقه سلطان أو ملك لذلك، لكنهم ما زالوا به مستعينين بأحد وزراءه المقربين حتى اقتنع وامر بإرسال أحد عشر نفرا منهم الى المدينة المنورة ليكونوا سدنة لقبر النبي (ص) وحرمه. الرواية الثانية إن نورالدين رأى في المنام

رؤيا تكررت ثلاث مرات في ليلة واحدة يقوم بعد كل واحدة منها فيصلى ركعتين ثم ينام، فيرى النبي (ﷺ) يشير الى رجلين أشقرين ويستغيث به قائلا: (أنقذني من هذين الرجلين). فغادر في نفس الليلة بصحبة وزيره وعشرين رجلا الى المدينة المنورة. وفي اليوم التالي بدأ بتوزيع الصدقات على أهلها فلم يتبق كما أفادوه إلا أندلسيان ينزلان في دار شمال الحجرة النبوية الشريفة فامر باستدعائهما، فاذا هما الرجلان اللذان رآهما في المنام فاعترفا لما ضيّق عليهما الخناق بانهما نصرانيان أرسلهما سلطان النصارى متنكرين في زى مغاربة لنقل جسد الرسول الكريم. وانهما حفرا نفقا للوصول اليه، فلما اقتربا أرعدت السماء وأبرقت فرأى نورالدين تلك الرؤيا. عندئذ امر نورالدين بإعدامهما وبحفر خندق حول الحجرة الشريفة صب الرصاص المذاب وعند عودته أرسل اثني عشر من خدامه الطواشية لحراستها. هذه الرواية غير موجودة في نصر 1986م لكنها مما أضافته دراسة مالكي وأونال (د.ت) وقد جاءت هذه الاضافة في هامش لا في متن النص مما يعنى أنها ذات أهمية ثانوية. (14) وأورد قمر 2007م نفس الحكاية دون مناقشة ضمن حكايات أخري عن محاولات جرت لنقل جسد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وجسدي ابي بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما. كما أورد الرواية الأولي التي تقول إن بعض الطواشية ما زالوا بنور الدين حتى اقتنع بإرسالهم لحراسة المسجد النبوي والحجرة الشريفة. ويستنتج قمر مما سبق إن أغوات المسجد النبوي الشريف لم يكونا خدما بالمسجد إلا في سنة 557هـ / 1162م.[15]

من ناحية أخري يري نصر 2005م إن الأغوات كانوا موجودين قبل ذلك التاريخ والدليل على ذلك قصة الرائحة الكريهة المنكرة التي انبعثت من الحجرة الشريفة واختيار بيان الأسود الخصي أحد خُدامها لإنزاله بالحبال من الخوخة بالسقف الى الحظير الذي بناه عمر بن عبد العزيز ومعه الصفي الموصلي متولي العمارة، وهارون الشادي الصوفي، فوجدوا هراً كان قد مات وجيّف فأخرجه بيان. وكان ذلك في سنة 554هـ/1159م وقد ذكر الفقيه المؤرخ السمهوري حكاية رؤيا نورالدين دون عمل الخندق، لكن مؤرخين آخرين رفضوا الحكاية لأسباب أهمها انه لا يعقل إن يستغيث الرسول ﷺ بنور الدين وقد تكفل الله سبحانه بحماية جسده. وقال آخرون إن الحكاية محتملة الوقوع لو تجردت من المبالغة الواردة فيها بالذات عملية الاستغاثة فقد كان الصليبيون في أوج سطوتهم وليس من المستبعد أن يفكروا في نقل جسده (ﷺ) لإضعاف الروح المعنوية للمسلمين. بالإضافة لذلك فقد كانت هناك محاولات سبقت المحاولة التي رآها نورالدين في منامه منها مثلا محاولة الخليفة الفاطمي الحافظ الذي حكم ما بين (1149-1129/544-524م) والذي أرسل رجالا ليقوموا بذلك عن طريق نفق يحفرونه فانهار النفق عليهم كلهم فماتوا. أما سحر فقد أرودت حكاية رؤيا نورالدين واكتفت بالقول في هامش إن من المؤرخين المتأخرين من قبلها ومنهم من رفضها لعدة أسباب.[16] وذكرت قصة بيان الأسود الخصي، ورأت رغم ذلك أن أغوات المسجد النبوي الشريف لم يكونوا خدما بالمسجد النبوي رسميا إلا في عام 557هـ / 1161م[17] وهكذا فلم يذكر نصر 1986م رؤيا نورالدين التي أضافتها دراسة مالكي واونال(د.ت) مع تعليق ضمني على أهميتها الثانوية، وأورد نصر آراء المؤيدين والمعارضين وقال بوجود الاغوات في

خدمة المسجد النبوي والحجرة الشريفة قبل تعيين نورالدين زنكي لهم. ورأى قمر 2007م إن بداية خدمتهم تعود الى عهد نورالدين زنكي بينما اكتفت سحر 2021م بالقول في هامش إن هناك من قبلوا حكاية الرؤيا ومن رفضوها وعزت التعيين الرسمي الى نورالدين زنكي.

الموقف من تعيين الأغوات:

ذكر نصر 2005م إن تعيين الأغوات لخدمة الحرمين الشريفين كان قد لاقي معارضة شديدة من بعض علماء المسلمين، الذين كتبوا في ذلك مطالبين بإيقاف تعيينهم لان ذلك بدعة لم تُعرف على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا صحابته رضوان الله عليهم. كما قالوا بان ترتيبهم في مكة والمدينة شجع على زيادة الإخصاء المنهي عنه، إذ كان كل مقتدر يقوم بإخصاء المزيد من الرقيق وإرسالهم لخدمة الحرمين تقربا وتبركا. وذكر إن من العلماء الذين عارضوا وقف الأغوات لخدمة الحرمين شمس الدين محمد زين الدين في كتابه (تحفة المحب للمحبوب في تنزيه مسجد الرسول من كل خصي ومجبوب)، ومن الذين صرحوا بحرمة استخدامهم جلال الدين السيوطي في كتابه (حرمة خدمة الخصيان لضريح سيد ولد عدنان). ولاحظ نصر إن من لا يقرون بخدمة الأغوات في الحرمين الشريفين من العلماء ينتمون الى المذهب الحنبلي أو الشافعي، بينما يتبع الأغوات مذهب من أوقفوهم وهو مذهب المالكية والحنفية، وليس فيهم حنبلي أو شافعي وهي المذاهب التي تعارض وقف الحيوان ناهيك عن الإنسان. [18] وقد أثرت هذه الرؤية الفقهية في استمرارية عمل الأغوات في خدمة الحرمين في بعض الفترات، فعلى سبيل المثال ذكر نصر انه حين استولي عبد الله بن سعود على المدينة سنة 1221هـ/1806م استغنى عن الأغوات لان استخدامهم بدعة مخالف للسنة (كما رأي) وسمح لهم بالتوجه نحو ينبع.[19] وأشار نصر الى آراء الكردي في (كتابه التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم) الذى اقترح فيه إعفاء الأغوات من الخدمة وإحالتهم للتقاعد بعد إكرامهم مدة حياتهم نظير خدمتهم للكعبة المشرفة وإحلال بعض فضلاء الناس الأحرار مكانهم، وزاد قائلا: «إن فعلت الحكومة السعودية ذلك تكون قد سنت سنة حسنة». وذكر نصر إن رأى الكردي بإعفائهم يقوم على سبب واحد وهو أن اعتقاده إن غالبيتهم من العوام الجهلاء وفي بعضهم غباوة زائدة وضعف في العقل. ويستشهد الكردي في رأيه هذا بان القزويني ذكر بان الإنسان إذا خصي يضعف بدنه بخلاف كثير من الحيوانات. لكن نصر رد على ما يستشهد به الكردي قائلا بان الكردي اجتزأ حيث القزويني الذي يذكر في بقية حديثه: « إن الإنسان إذا خصي يضعف بدنه، وينتن ريحه، ويتغير رأيه، وتكثر شهوة أكله، وتطول عظامه، وتعوج أصابعه، وتقوي شهوة الجماع عنده، ويحتلم كثيرا، ويطول عمره، ويقل شعر بدنه، ويصير صوته حادا دقيقا، ومن عجيب ما يعرض للخصيان سرعة الغضب والرضا وضيق الصدر عن كتمان السر وحب لعب الشطرنج». وذكر نصر إن اعتماد الكردي على ما ذكره القزويني لإصدار الأحكام بحق الأغوات هو رأى جائر وفيه كثير من الإجحاف ولا يسنده رأى علمي، وحتى حديث القزويني فهو يناقض نفسه إذ يحتاج لعب الشطرنج الى قوة العقل والذكاء فكيف يحب ضعيف العقل لعب الشطرنج؟[20]

أما دراسة سحر 2021م فقد ذكرت إن شيخ أغوات المسجد النبوي ذكر لصحيفة عكاظ في العام 2011م إنه صدرت فتوي بإيقاف نظام الأغوات والعمل به منذ عهد الملك فهد رحمه الله بفتوى من سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بعدما بلغه إن اسر الأغوات تقوم بخصيهم وإرسالهم لخدمة الحرمين فقال سماحته إن هذا العمل بدعة لا أصل له في الدين، وطلب من الملك فهد رحمه الله إيقاف العمل بنظامهم فأصدر الملك امرا بذلك.(21)

رتب الاغوات:

تعني رتب الأغوات التراتبية التي حكمت السلم الوظيفي للأغوات والتي تتحكم أيضا في نوع المهام التي تؤديها كل رتبة من الرتب وكيفية الترقي في هذه الرتب. أجمعت الدراسات كلها على أن رتب الاغوات كانت متغيرة حسب العصور والأحوال وتبعا لذلك فقد وردت بتراتبية متغيرة من مصدر الى اخر. ومع ذلك حاولت كل دراسة إيراد الرتب مهما اختلفت. أوردت دراسة نصر 1986م اهم رتب الأغوات وهي: شيخ الحرم، النقيب، المستلم وهؤلاء أكابر الاغوات، يأتي بعدهم البطالون وهم المسئولون عن النظافة خارج الحجرة والمسجد النبوي. وقد فصلت الدراسة بعد ذلك في اختلافات هذه الرتب كما جاءت في اهم المصادر التي أرخت لنظام الأغوات فذكر ترتيبها عند العياشي (1193هـ/ 1779م)، والأنصاري (1195-1124هـ/ 1712 - 1780م)، وبشكاري زاده (1206هـ/1791م)، وأيوب صبري (ت 1308هـ/ 1890م)، وعلى موسي الذي صنفهم في حوالي 1303هـ/ 1885م، وبيرتون خلال رحلته في عام 1270هـ/ 1854م.(22) وقد بينت هذه المعلومات التغييرات التي اعترت ترتيب الرتب والمهام المتعلقة بها عبر الزمن وان بعض وظائف الأغوات كانت تتداخل أحيانا مع وظائف طوائف أخري تعمل معها في نفس المكان. أما دراسة مالكي وأونال (د.ت) فقد أوردت في البداية رتب الأغوات كما جاءت عند وكيلهم (سالم يمنى) وقت إجراء الدراسة الذي ذكر أنها تسع رتب هي: شيخ الأغوات ، نقيب الأغوات، أمين الأغوات ، مشدى الأغوات ، خبزي، نصف خبزي، شيخ بطال، ولد عمل، ومتفرقة.(23) ثم عادت وتحدثت عن رتب الأغوات تحت عنوان عدد الأغوات العاملين في الحرمين وجنسياتهم وأوقات عملهم حيث الحقت رتب الأغوات بهذا المبحث وكررت ما جاء عنها في دراسة نصر 1986م بالتفصيل.(24) ذكرت دراسة سحر 2021م إن أوائل المصادر التي تعرضت للأغوات مثل السخاوي لم تذكر لهم رتبا أو تقسيمات وان سليمان القانوني (900 - 974هـ/ 1495م- 1566م) هو الذي أضاف اليهم تقسيمات ورتب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي فقسموا كما يبدو الى طائفتين هما الخبزية والبطالون، وقسمت كل طائفة الى مجموعات متعددة مع تميزهم جميعا بلبس موحد. كما ذكرت إن لكل مرتبة عمل يختص بها وان أسماء الرتب اعتراها التغيير عبر العصور. وأوردت تقسيمات الرتب عن العياشي، الأنصاري، وبشكاري زاده، وأيوب صبري، وبيرتون، وعلى بن موسي وبينت من خلال المقارنات التي أجرتها بدورها بين هذه المصادر إن رتب الأغوات استمرت طوال العصر العثماني مع اختلاف في التكليف بينهم. وذكرت إضافة لذلك رتب الأغوات خلال العهد السعودي فذكرت إنها سبع رتب

هـي: رئيـس الأغـوات، نقيـب الأغـوات، أمـين الأغـوات، الخبزيـة، البطالـين، التفرقـة، وأولاد العمـل. كـما ذكـرت أيضـا رتـب الأغـوات في المسـجد الحـرام في مكـة المكرمـة في عهـد الملـك عبـد العزيـز كـما وصفهـا حسـين باسـلامة في كتابـه (تاريـخ الكعبـة المعظمـة عمارتهـا وكسـوتها وسـدانتها 1982م).[25] وذكـرت دراسـة قمـر 2007م انـه كان للأغـوات نظـام خـاص في تسلسـل الوظائـف الخاصـة بهـم وكانـت وظائفهـم محـددة تحديـدا دقيقـا تبعـا لهـذه الرتـب خاصـة في الحـرم المـدني. وان هـذه الرتـب تغـيرت وتبدلـت حسـب العصـور والأحـوال ولذلـك فانـه لم يوفـق الى نظـام ثابـت في تحديـد الرتـب والوظائـف لكنـه اسـتعرض بعـض مسـميات السـلم الوظيفـي الخـاص بالأغـوات وتنظيماتهـم كـما وردت في بعـض المصـادر فذكـر منهـا شـيخ الحـرم، نائـب الحـرم، شـيخ الأغـوات ، الخازنـدار، مسـتلم الحـرم الشريـف، نقيـب الأغـوات ، مشـدى الأغـوات، الخبـزي، نصـف الخبـزي، البطـال، ولـد العمـل، المتفرقـة والبوابـون وفصـل المهـام المنوطـة بـكل رتبـة مـن هـذه الرتـب.[26]

عقاب الاغوات:

كان للأغـوات في قوانينهـم مـا ينـص عـلى معاقبـة المخطـئ منهـم في مواجهـة أخطـاء مثـل إسـاءة الأدب والسـلوك أو الإخـلال بواجباتـه أو عـدم إطاعـة الأوامـر أو التعـرض لاحـد مـن النـاس أو لأغـا آخـر أصغـر منـه أو أكـبر منـه رتبـة فحينهـا تتـم معاقبـة المخطـئ بطريقـة معينـة. ذكـرت دراسـة نـصر 1986م هـذه الطريقـة وكيـف كانـت تتـم في المسـجد النبـوي عـلى وجـه الخصـوص حيـث يجتمـع كل الأغـوات في الصبـاح بعـد الانتهـاء مـن نظافـة وتطهـير المسـجد والحجـرة الشريفـة ويحـضر الأغـا المنـاوب الأغـا المخطـئ وينـصرف. ثـم يتقـدم منـه أغـا اخـر خطوتـين أو ثـلاث ويأمـر بنصحـه وبإحضـار العصـا. وتتـم محاكمـة المتهـم في مـكان اخـر، فـاذا ثبتـت إدانتـه يأخـذه اثنـان منهـم فيدخلونـه في حجـرة بالقـرب مـن دكتهـم وهنـاك يعاقـب بالجلـد بالفلكـة بعـد أداء الدعـاء والنطـق بالشـهادة. وينتظـر بقيـة الأغـوات خـارج الحجـرة ويصيـح الأغـا المعاقـب متألمـا (الأمـان يـا رسـول اللـه) ويسـتمر الـضرب الى أن يتشـفع أحـد الحاضريـن في الأغـا المخطـئ بتقبيـل يـد مـن امـر بالـضرب فتقبـل شـفاعته وتقـرا الفاتحـة.(27) وذكـرت الدراسـة إن طريقـة العقـاب داخـل المسـجد النبـوي قُوبلـت بالتأييـد مـن البعـض واسـتنكرها البعـض وعدوهـا بدعـة لوقـوع الـضرب والصيـاح داخـل المسـجد وإزاء الحجـرة الشريفـة وفضّلـوا لهـا مكانـا اخـر خـارج المسـجد. فممـن عارضوهـا أبـو أيـوب الأنصـاري والـذي سـماها بدعـة مستشـهدا بـان الخليفـة عمـر أمـر بإخـراج متهـم عُـرض بـين يديـه ومعاقبتـه خـارج المسـجد النبـوي، ولكنـه عـاد واسـتدرك إنهـا أصبحـت في حكـم (البدعـة الحسـنة) وأخـذت حكـم العبـادة والطاعـة المستحسـنة. واسـتدل بـرأي أحـد أهـالي المدينـة الكـرام الـذي يقـول بـان «الـضرب داخـل المسـجد لـه فائدتـان الأولى: انهـم يقبلـون الشـفاعة لأنهـا قانـون مـراع بينهـم، والثانيـة: إن فيهـم رعونـة فلـو ضربـوا المخطـئ خـارج المسـجد لاسـتمروا في ضربـه دون توقـف حتـى المـوت». ويبـدو إنـه حتـى شـيوخ الاغـوات اختلفـوا حـول أداء عقوبـة الـضرب داخـل المسـجد فامـر بإلغائهـا شـوكت باشـا شـيخ أغـوات الحـرم المـدني واعتبرهـا مـن إسـاءة الأدب داخـل الحـرم، وقـد حـاول الأغـوات إثنـاءه عـن رأيـه لكنـه رفـض، وان كان قبـل بهـا عـادل باشـا الـذي عـين شـيخا للحـرم فعـاد الأمـر كـما كان. وأضافـت الدراسـة تفاصيـل أخـري عـن طريقـة

عقاب الأغا خلال العهد السعودي إذ كان الأمر فيما مضي محصورا بين الاغوات لكن العقوبة في العهد السعودي أصبحت تتم إما بالجلد أو برفع الأمر لإدارة الحرمين الشريفين لاتخاذ ما يلزم فصلا كان أو إبعادا من البلاد. وإذا كان الأغا خائنا أو فاسدا ينصحه الشيخ فاذا لم يغير سلوكه كتب للإدارة بفصله. وفى حالة الخلاف بين الأغوات أنفسهم تحل إمارة مكة الخلاف بلوائحها أو تعين لجنة من العلماء لحله.[28] ذكرت دراسة مالكي وأونال (د.ت) نفس هذه التفاصيل فيما يخص عقاب الأغا المخطئ في الحرم النبوي وأضافت تفاصيل عن طريقة عقاب الأغا في الحرم المكي فذكرت انه في حالة عدم إطاعة أحد الأغوات للأوامر فيعاقبه شيخ الأغوات بالجلد أمام جميع الأغوات في مقعد خاص بهم في الهجلة من مناطق مكة حيث يتم عقابه بالجلد بالفلكة. واذا رفض الأغا المخطئ العقاب فيكتب الشيخ للجهات المختصة بان فلان رفض إطاعة أوامرنا فاذا امر الشيخ بفصله يفصلونه.[29] وفى أمر عقاب الاغوات أيضا أضافت دراسة مالكي وأونال (د.ت) تفاصيل عن عقاب الأغا اذا لم يلتزم بالزي المخصص له فذكرت إن شيخ الاغوات اذا وجد احدهم وأزرار رقبته مفتوحة ضربه كفا على وجهه أو ضرب راسه بالجدار وقال له: «زرر حلقك».[30] ذكرت دراسة قمر 2007م نفس التفاصيل عن عقاب الأغا المخطئ في الحرم المدني التي ذكرتها دراسة نصر 1986م ودراسة مالكي وأونال (د.ت) وذكر كذلك طريقة عقاب الأغا المخطئ في مكة بنفس التفاصيل التي ذكرتها دراسة مالكي واونال (د.ت) والتي وردت في مقتطفات من رحلة العياشي.[31] ذكرت دراسة سحر 2021م تفاصيل عن طريقة عقاب الأغا المخطئ خلال العهد السعودي فقط وقد استقتها من دراسة مالكي وأونال. وأضافت في حالة السرقة ينفي الأغا الى اى بلد يريده. [32]

المصادر المستخدمة فى الدراسات:

استفادت دراسة نصر 1986م من طيف واسع من المصادر العربية والأجنبية. كما استخدمت العمل الميداني في جمع المعلومات عن طريقة المقابلات واستفادت من بعض الوثائق المهمة فمزجت بين منهجي الوثائقية والميدانية.

اعتمدت دراسة قمر 2007م على مجموعة من أمهات المصادر في التاريخ الإسلامي، واستعان أيضا بالعديد من الدراسات الحديثة التي درست تاريخ الحرمين الشريفين أو تاريخ المدينة المنورة واستعانت كذلك بعدد من المراجع المعربة وعدد اقل من المراجع الإنجليزية (ست مراجع). كما جاء اهتمام هذه الدراسة بكتابات الرحالة الأجانب اقل حيث أورد كتابات بوركهارت وبيرتون ولم يزد على ذلك.

أما دراسة سحر 2021م فقد تنوعت مصادرها فشملت المصادر التاريخية القديمة وغطت منها قدرا غير قليل. كما استعانت بعدد لا يستهان به من المراجع العربية الحديثة والمعاصرة فأضافت بهذه المصادر تفاصيل مفيدة أخري. وجاءت استعانتها بالمراجع الإنجليزية أقل (ست مراجع). أضافت الباحثة لمراجع الدراسة أيضا مجموعة من المقالات والتي نشرت بعد صدور الدراستين الأولتين في الصحف وفى المطبوعات العلمية فجاءت هذه الإضافة مفيدة وفارقة، إذ تميزت معظم المقالات بجانب تحليلي والقت المزيد من الضوء على جوانب مختلفة من موضوع الدراسة.

أما اهم مصادر هذه الدراسة فكانت مجموعة واسعة من الوثائق المنشورة وغير المنشورة التي اطلعت عليها الباحثة في إدارة الأوقاف والشئون الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ودارة الملك عبد العزيز بالرياض، وأرشيف وزارة الأوقاف المصرية، وسجلات إدارة الكهرباء بمكة المكرمة.

استعراض الدراسات للدراسات السابقة لها:

ذكرت دراسة نصر 1986م اهم من أرخوا للأغوات في مكة و/أو المدينة ولاحظت أن هذه الكتابات تكمل بعضها بعضا حينا وتخالف بعضها حينا اخر. كما لاحظت أن المؤرخين القدماء كانوا يطلعون على كتب من سبقوهم وينقلون منها في أحيان كثيرة. ومنهم من يذكر ذلك صراحة. وكذا من كتبوا عن الأغوات حديثا كالعياشي الذي اعتمد عليه الورثلانى وابن كيران المغربيان ذاكرين اسمه أحيانا وناسبين ما قالاه الى نفسيهما أحيانا أخري. واطلع إبراهيم رفعت على كتاب البستوني، واعتمد أيوب صبري على مخطوط باللغة التركية لمؤلف درويش بشكري زاده، واكتفى مؤرخ مكة الكردي بذكر نبذة عن أغوات الحرم المكي وصرف النظر عن نظامهم وقوانينهم حتى لا يطول به الكلام، وقال إن بعضهم من العوام ووصفهم بالغباوة الزائدة والضعف في العقل. وهو حكم كما أوضح نصر فيه الكثير من الإجحاف ولهذا رأى الكردي إعفاء الاغوات وإحلال بعض فضلاء الناس الأحرار مكانهم. أما رفيع فقد ذكرهم في هامش قائلا إن لهم تقاليد خاصة ومراتب والبسة خاصة وعليهم شيخ منهم ونقيب ودرجات لا يعرفها. وإن كان رفيع قد اعترف بانه لا يعرف درجاتهم إلا أن باسلامة اعطي تفصيلا عن رتبهم وذكر بعض وظائفهم في أيامه.

أما الرحالة الغربيون فقد كانوا أيضا يطلعون على كتب من سبقوهم فبيرتون على سبيل المثال اطلع على كتاب بيركهاردت واطلع كين على كتاب بيرتون. واستعرضت دراسة نصر 2005م ما صدر بعد الطبعة الأولى وهو كتاب عاصم حمدان عن حارة الأغوات في المدينة المنورة في القرن قبل الماضي، وأوضحت إن نصيب الأغوات فيه قليل إذ يدور معظم الحديث عن حارتهم: ملامحها، وشخصياتها (ومنهم الأغوات) التي عاصرها وتعامل معها في ذاكرته. ثم اتبعت دراسة نصر ذلك بكتاب شون مارمون الذي لم تؤرخ فيه للأغوات وإنما استكشفت جانبا مهما في المجتمع الإسلامي قبل تحديثه وهو (مفهوم التوسط) وركزت فيه على دور الاغوات كوسطاء في مقام المقدس. وأثار نصر عدة اعتراضات على كتابها أهمها اعتمادها على النظرية البنيوية في تحليل مادتها فهي تبحث عن مادة تؤيد بها حججها وتهمل ما لا يؤيدها ويعطي نصر أمثلة على ذلك.

أما دراسة قمر 2007م فأشارت في ملخصها الإنجليزي الى قلة المواد العلمية والدراسات النادرة التي تتناول موضوع الأغوات، فالمواد المتاحة كما يقول الباحث ليست سوي مدونات قصيرة ومذكرات وملاحظات أو مقالات عامة. ولم يستعرض الباحث ما نشر عن الأغوات قبل دراسته مثل دراسة نصر 1986م، ولا مالكي وأونال (د.ت) والموجودة على الإنترنت، ولا الطبعة الثانية 2005م المزيدة والمنقحة من دراسة نصر 1986م. وجاءت دراسة سحر خلو من أية عرض لما أضافته أو قصرت عنه الدراسات التي صدرت قبلها رغم أن الباحثة اطلعت على المراجع القديمة والحديثة كما يشير الي ذلك ثبت المراجع في دراستها.

ومن الملاحظات الهامة أن دراسة نصر 1986م لم تستعين بنوعية المقالات الأكاديمية أو الصحفية التي ظهرت في دراستي قمر 2007م، وسحر 2021م واعتقد أن ذلك يعود الى إن هذه المقالات بدأت بالظهور بعد صدور دراسة نصر الأولى 1986م والتي ساهمت في دفع الموضوع الى دائرة الضوء في الدوريات الأكاديمية والصحف الراتبة. ولم تستعين دراسة قمر 2007م بدراسة نصر 1986م، أومالكي وأونال (د.ت) اللتين كانتا حتى وقت إجراء دراسته من الدراسات الرائدة فيما يخص نظام الأغوات. مع ذلك يبدو أن الباحث لم يكن على دراية بكلتيهما ولم يشر اليهما ولم تردا بين مصادره، حيث أشار في ملخص دراسته الي ندرة المصادر في موضوع البحث. أما دراسة سحر 2021م فقد أوردت دراسة نصر بطبعتيها 1986م، 2005م ودراسة مالكي وأونال (د. ت) ودارسة قمر2007م ضمن مراجعها. وقد ساهم اطلاع الباحثة على الدراسات السابقة في تركيزها على بعض المواضيع التي لم تغطها الدراسات السابقة وفي طريقة عرض المعلومات التي اشتركت كل الدراسات السابقة في تغطيتها.

العمل الميداني:

استخدمت دراسة نصر 1986م العمل الميداني في جمع المعلومات عن طريقة المقابلات والتي شملت مقابلة بمكة المكرمة بتاريخ 9/6/1403هـ ثم اثنتين مع وكيلهم وواحده بتاريخ 17/8/1404هـ وأخري بتاريخ 23/11/ 1404هـ والرابعة والخامسة والسادسة مع شيخهم عبد السلام أغا جمعة ونائبه سعيد أغا آدم بتاريخ 13/10/1403 هـ ومحمد أغا قرعان فى ذي الحجة 1421 هـ / 2001م، ووكيل سابق لهم فى1421هـ / 2002م على التتالي فى المدينة المنورة.

أما دراسة قمر 2007م فلم تعتمد المقابلات مصدرا من ضمن مصادرها. فالباحث اعتمد في المعلومات التي أوردها عن الأغوات في وقت إجراء دراسته على البيانات التي حصل عليها من سجلات إدارة شئون الموظفين بالرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي. فأورد معلومات عن أماكن ميلاد بعض الأغوات، وتاريخ التحاقهم بالعمل وبعضهم كان ما يزال بالخدمة في المسجد النبوي، وتاريخ حصولهم على الجنسية السعودية.

أقتبس الباحث بعض التفاصيل عن حياة الأغوات الاجتماعية وأزيائهم وتنظيماتهم في العمل من المعلومات التي وردت في لقاء مع أحد الأغوات فى حوار سابق وهو حوار اجراه خالد سعود البشر مع شيخ الأغوات بالحرم النبوي الشريف، مجلة اليمامة 1418هـ/ 1998م. ولم يوضح الباحث لماذا لم يعمد الى إجراء مقابلات بنفسه مع الأغوات (خاصةً وانه تواجد في المدينة المنورة لغرض إجراء الدراسة) بدلا من الاعتماد على معلومات سابقة لدراسته بنحو عقد كامل. وان كان أشار الي انه قابل أحد الأغوات (بديا إبراهيم قعس) والذي كان في العقد السابع أو الثامن من العمر وانه ذكر له انه من جيبوتي لكنه لم يدل بأية معلومات أخري. ولا ندري عن العقبات التي حالت دون أن يجري الباحث مقابلات مباشرة مع الأغوات وقد كانت الفرصة سانحة. ولا نستطيع أن نقطع الى اى حد شكلت اللغة عائقا لهذا المسعي إذ أشار الباحث الى انه (اى الأغا بديا) تلقي العلم على يد الشيخ إبراهيم الأخضر وانه التحق بالخدمة في المسجد النبوي منذ سنة 1970 وظل ملازما له. فالمنطقي تبعا لذلك أنه كان يمتلك معرفة ولو متواضعة باللغة العربية.

أما فيما يخص اللقاءات الميدانية في دراسة سحر 2021م فقد قامت الباحثة بإجراء مقابلة مع على حسين أغا (لم توضح الباحثة صفته لكن نفترض انه أحد أغوات الحرم المكي) بمنزله بالنكاسة بمكة المكرمة، وأوردت بناء عليها معلومات تتعلق بأوقافهم، ومهامهم، وأعداد وأجناس من تبقوا منهم بالحرم المكي، وعن قلة معرفتهم باللغة العربية.[33] كما قامت بإجراء مقابلة عن طريق الهاتف مع شيخ أغوات الحرم المدني نوري أغا. ولم تزد عن ذلك لعدة عوائق ذكرتها منها أن الأغوات أنفسهم كانت أعدادهم قد تناقصت وآل نظامهم الى الاندثار، وتقلصت مهامهم وأعمالهم كثيرا في وقت إجراء الدراسة (حوالي العام 2015-2014م). فالمتبقي منهم كانوا جميعهم أحباشاً من مناطق متفرقة من الحبشة، وقد شق عليهم التحدث باللغة العربية والتعامل بها. وذكرت الباحثة أنها وجدت صعوبة في إجراء المقابلات مع من تبقي منهم بالحرمين لأنهم لا يجيدون اللغة العربية.[34]

أوقاف ومرتبات الأغوات ونظامهم الاقتصادي:

يعتبر الفصل الثالث من دراسة سحر 2021م الذي جاء بعنوان (الحياة الاقتصادية لأغوات الحرمين الشريفين) هو عظم الظهر لدراستها وهو الإضافة الحقيقية للدراسات السابقة. فقد استطاعت الباحثة باطلاعها على الوثائق في دارة الملك عبد العزيز تتبع الرواتب والمخصصات والهبات التي كانت تصل الى الأغوات خلال فترتي الحكم الفاطمي والعثماني حتى العهد السعودي. وذكرت الدراسة ان رواتب ومخصصات الأغوات تزايدت تدريجيا خلال العهد السعودي فكانت على سبيل المثال في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز (1975-1906م) 300 ريال وبلغت في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز (2015-1924م) 8000 ريال.

عرضت الباحثة أيضا في هذا الفصل حصرا لأوقاف الأغوات في مكة بالاستعانة بالوثائق التي اطلعت عليها بإدارة الاستثمار في إدارة الأوقاف بمكة المكرمة. وعرضت الباحثة عدد الأوقاف العينية والحكورات والأسهم التي تعود للأغوات في مكة. ويتضح بناء على هذا الرصد إن للأغوات أوقافاً كثيرة تدر عليهم مبالغ سنوية وان أكثر أوقافهم موجودة بمكة منها عقارات وعمائر ومنازل ومحلات تجارية وفنادق وهي منتشرة بأحياء مكة المتعددة. أما الحكورات فقد كان اغلبها مساهمة أوقافهم في شركة جبل عمر للتطوير(35). أما عن أوقاف الأغوات في المدينة المنورة فبينت الباحثة أنها كثيرة منها عينان الأولى كانت على مجري سبيل أبي جيدة عند جبل الذباب، والأخرى على مجري سيل العقيق ومنبعها عند ذي الحليفة المعروف ببئر علي. والعينان لم يعد لهما وجود بسبب التوسع العمراني في المدينة. كما رصدت الباحثة أكثر من ستين عقارا مسجلة رسميا للأغوات في إدارة الأوقاف بالمدينة المنورة في العام 1436هـ تضمنت عمائر وشققا ومحلات تجارية وأراض. وقد هدمت بعض هذه الأوقاف لاحقا في مشاريع التوسعة التي تمت في المسجد النبوي. أما عن أوقافهم خارج مكة والمدينة فوضحت الباحثة إن لهم أوقافا في نجد والإحساء وجدة والطائف.

توسعة الحرمين والحجرة الشريفة وكنوزها:

انفردت دراسة نصر المنقحة 2005م بإيراد مبحث عن الحجرة الشريفة ومراحل التوسعة التي تمت فيها، والكنوز التي أهديت لتوضع فيها تبركا ومحبة في النبي الكريم من شمعدانات من الذهب والفضة والبلور، الى حجر من الماس في حجم بيضة النعام محفوف بأحجار كريمة مختلفة معكوفة بصفائح من الذهب والفضة، الي لوح من الذهب الخالص، الى نجفتين من البلور على أطرافهما تنانير يوقد فيها الشمع، وأربع شجرات من البلور لها فروع مائلة عليها تنانير ضافية، الى عدد من المباخر والمرشات المصنوعة من الفضة الخالصة، وغيرها. وقد تعرضت هذه الكنوز الى السرقات في بعض الأوقات من بعض الأغوات أنفسهم. ولم ترد معلومات مشابهة في دراسة مالكي وأونال (د.ت) أو دراسة قمر 2007م، أو دراسة سحر2021م.

أزمات ومواقف مع أمراء المدينة وفقهائها:

أضافت دراسة نصر 2005م فصلا كاملا بعنوان (خلافات ومواقف)[36] فصلت فيه الأزمات والمواقف التي تعرض لها الأغوات ونظامهم عبر التاريخ، فكانت أحيانا الغلبة لهم وأحيانا عليهم. من ذلك مواجهاتهم مع الفقهاء في بعض القضايا المخالفة لدعوة التوحيد مثل مشاهدتهم مؤلفاً يعطى كتبه لرئيس الأغوات ليضعها فى الحجرة الشريفة تبركاً، ومع حكام المدينة خاصة فيما يتصل بكنوز الحجرة الشريفة او بالقبة التى كانت تنقل اليها الهدايا بالحجرة عند كثرتها، وقد أرغم رئيسهم بل وتعرض للضرب المبرح لفتحها لبعض أمراء المدينة المنورة، الذين عللوا ذلك لإسباب اقتصادية، وببعض أوقافهم والتي جرى استثمار بعضها في مشاريع تنموية في المدينتين الشريفتين. ويعتبر هذا المبحث من الإضافات التي أضافها الباحث على دراسته الأولى ولم تورد دراسة مالكي واونال (د.ت) او دراسة قمر 2007م، أو دراسة سحر 2021م معلومات مماثلة.

دور الأغوات السياسي وانعكاسه على مشاركتهم في بعض الأحداث والفتن:

برغم تمتع الأغوات بمكانة سامية وعظيمة سواء من الملوك والسلاطين أو من عامة الناس نظير انقطاعهم لخدمة الحرمين الشريفين فان منهم من كان له بصمات في الحياة السياسية فسبب بعضهم القلاقل والفتن خاصة حين كان شيخهم يجمع بين شياخة الأغوات وشياخة الحرمين الشريفين. فشارك بعضهم في بعض الفتن التي نشبت وزادوا من أوارها الشيء الذي عده الباحثون دورا سلبيا لهم في الحياة السياسية فى المدينة المنورة. على سبيل المثال، تذكر دراسة قمر 2007م أمثلة من التدخلات السياسية السلبية للأغوات في مجتمع المدينة فيتعرض لبعض الحوادث التي وقعت، وذكر بالتفصيل فتنة بشير أغا في سنة1148هـ/ 1735م، وفتنة الأغوات التي وقعت في عهد شيخ الحرم عبد الرحمن أغا الكبير في سنة 1155هـ/ 1742م بكثير من التفاصيل.(37) وانفردت دراسة سحر 2021م بذكر شكوى رفعها ضدهم السيد حسن العطار من أهالي المدينة والذي كان يعمل في مهنة دلالة الحجاج الإيرانيين الوافدين الى الحج كل عام وذلك في سنة 1296هـ/ 1878م فذكرت اصطدامه مع أغوات الحرم النبوي بسبب تدخلهم في أعماله ومطالبتهم له بدفع ثلث الأموال التي يتحصل عليها من الحجاج لهم(38). ذكرت دراسة سحر أيضا الاضطرابات التي

حدثت في سنة 1195هـ/1780م بين أغوات المدينة وطوائف الجند بسبب مخصصات من جمرك جدة لأغوات الحرمين لم يحصلوا عليها، وقد صدر بعد هذه الاضطرابات فرمان لأغوات المسجد النبوي من اجل تسوية سائر المبالغ المادية والمستحقات الخاصة بهم لفض اى نزاع بينهم وبين الجند مستقبلا. وقد ابلغ بالفرمان والى جدة وأمير مكة وشيخ الحرم لتحقيق الاستقرار بالمدينة المنورة.

خلفية الدراسات وتأثيرها على المصادر والمخرجات:

تقع دراسة نصر 1986م تحت مظلة دراسات الفولكلور. وهي نوع من الدراسات التي تحفل بجمع المعلومات من الميدان، وتعتمد على المصادر التاريخية لخلق خلفية تاريخية مفهومة ومترابطة لوضع يتحقق منه الباحث في الزمن الراهن عن طريق العمل الميداني وعن طريق الملاحظة والمقابلة. ويعتبر الأغوات من وجهة نظر علم الفولكلور جماعة فولكلورية. ويشير مصطلح (جماعة) في سياق علم الفولكلور الي أية مجموعة من الناس الذين يتشاركون عاملاً واحداً على الأقل بغض النظر عن هذا العامل الذي يربطهم؛ والذي يمكن أن يكون مهنة أو لغة أو ديانة مشتركة. ولكن المهم إن هذه المجموعة التي تكوّنت لسبب من الأسباب أصبحت لها تقاليد وقوانين خاصَّة بها.[39] ويُعني العمل الميداني في مجال الفولكلور بتحديد حاملي التقاليد داخل مجموعة اجتماعية محددة ويهدف الي إجراء المقابلات معهم لاستخلاص معلومات منهم عن تاريخهم، ومجتمعهم، وتنظيماتهم، وتقاليدهم، ومهامهم وكيفية رؤيتهم لأنفسهم وللآخرين. وتكون هذه المعلومات معاصرة ومن داخل مجتمع البحث. ولهذا السبب يعتبر العمل الميدانى مهما فى مثل هذا النوع من الدراسات.

تعتبر دراسة نصر 1986م، والإضافات التي أضافتها الطبعة الثانية 2005م دراسة شاملة عن موضوع الأغوات تناولت بشكل مفصل التطور التاريخي لمؤسسة الأغوات التي ظلت في خدمة الحرمين الشريفين لأكثر من عشرة قرون. ووثقت هذه الدراسة لمؤسسة الاغوات وتاريخها وعلاقتها بالسلطة الحاكمة على مر العصور وكيفية بروزها الى حيز الوجود في إطار تاريخية الواقع العربي الإسلامي. وهو جهد يمكن أن ينظر له على انه دراسة في النظم الإسلامية وفي علاقة الدين بالدولة ومحاور السلطة والقوة الاجتماعيين والتاريخيين. [40] واستنتجت الدراسة أن التطور الذي لازم الدولة الإسلامية كمؤسسة من جهة والتغيير الذي لازم علاقة الدولة بالدين من جهة أخري أدي لظهور ما يعرف بالدين الرسمي ومؤسساته والذي كانت مؤسسة الأغوات جزءا منها وأصبحت فيما بعد جزءا من مؤسسات الدولة. وتقع دراسة قمر 2007م ضمن نطاق علم التاريخ. وقد أورد الباحث ملخصا للدراسة باللغة الإنجليزية أوضح فيه أن الدراسة تبعت المنهج التاريخي الذي اعتمد على استخلاص المعلومات من المصادر التاريخية. وبذل الباحث جهدا كبيرا في استقصاء كل المعلومات المتاحة في المصادر والمراجع والمقالات والأوراق العلمية، فغطت دراسته مباحث متعددة وأحاطت بكل التفاصيل المتعلقة بالموضوع. وركز الباحث جهده على استيفاء غرض الدراسة الرئيس وهو بيان الدور الحضاري لأغوات المدينة المنورة والذي عالجه في محورين: دور الأغوات الاجتماعي ودورهم السياسي في مجتمع المدينة. مع ذلك فعلى أن اذكر أن عدم اطلاع الباحث

على الدراسات السابقة ألقى عليه عبئا إضافيا لأنه لم يبدأ من حيث انتهي الآخرون الشيء الذي كان سيسهل عليه عمله. كما أن المقابلات مع أغوات المسجد النبوي كانت ستمنح الدراسة ثقلا وتفردا محمودا. وتقع دراسة سحر 2021م أيضاً ضمن نطاق علم التاريخ وهي أحدث الدراسات الأكاديمية في موضوع الأغوات. وتذكر الباحثة إنها قامت بإجراء الدراسة بطلب من مركز تاريخ مكة المكرمة. وكان الاهتمام قد انصرف منذ إجراء الدراسة الأولى نصر 1986م والتي غطت كل ما يتعلق بنظام الأغوات من الناحية التاريخية، وتفاصيل حياتهم الاجتماعية، وتراتبية نظامهم الإداري، الى تفاصيل اخري مثل طبيعة نظامهم المالي وأوقافهم وهباتهم، وتبعات اندثار نظامهم، فتزايد الاهتمام بهذه النواحي في الدراسات التاريخية اللاحقة، هذا في الوقت التي بدأت طائفة الأغوات في الاندثار مع وقف تعيين أجيال أخرى منهم منذ العام 1978م. وكانت الإضافة الحقيقية لهذه الدراسة هي الفصل الثالث الذي تحدث عن الحياة الاقتصادية للأغوات بما شمل الكيفية التي كان يمول بها نظامهم منذ أقدم العصور. ثم إيراد تفاصيل عن مرتباتهم وأعطياتهم والهبات والعطايا التي كانت تصلهم وأوقافهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبعض المناطق الأخرى من المملكة العربية السعودية (وبعض بلدان العالم الإسلامي) من وثائق رصدتها الباحثة من اراشيف وطنية إضافة الى سجلات بعض المكاتب الحكومية بالمملكة العربية السعودية. وبذلك كانت هذه الإضافة إضافة نوعية ومقدرة.

خاتمة:

تعتبر دراسات: نصر 1986/ 2005م، ومالكي وأونال (د.ت)، وقمر 2007م، وسحر 2021م هي اهم الدراسات التي وثقت لنظام الاغوات في الحرمين الشريفين. والملاحظ إن المعلومات التي وردت في هذه الدراسات كملت بعضها بعضا والقت الضوء بالمجمل على جميع النواحي المتعلقة بنظام الأغوات من الناحية الحضارية والاجتماعية والإدارية والاقتصادية والسياسية. كما نجحت في خلق خلفية تاريخية مترابطة وغنية عن بداية ظهور نظامهم وتطوره في الدولة الإسلامية وصولا الى عصره الذهبي في العهد العثماني. كما نجحت في رصد الأهمية التي خلقها لهم نظام الحكم في إسطنبول والصلاحيات التي أعطيت لهم وما جره التساهل في شروط تعيينهم الي دخول عناصر غير مؤهلة الى نظامهم ساهمت فيما بعد بجرهم الى صراعات خاضوها وحوادث تدخلوا فيها في مواجهة عدة أطراف منها الحاميات العسكرية أو أهالي المدينة أو علماؤها. ثم بداية اندثار نظامهم الذي لم يصمد في مواجهة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية التي انتظمت المملكة العربية السعودية منذ النصف الأول من القرن الحادي عشر. أما التوثيق الذي قام به المصور عادل القريشي فهو توثيق هام ومعاصر، وسيبقي للأجيال القادمة متمما لكل الدراسات الأكاديمية. ومع ذلك يظل موضوع الاغوات فى سياق حفظ وتوثيق التراث الثقافي حقلاً بكراً يستحق مزيداً من الدراسة فليس من المعروف حتى الآن وعلى وجه الدقة تاريخ تعيين الأغوات ومن عينهم في مكة المكرمة وفي بيت المقدس والخليل في فلسطين وفي مشهد على بن ابي طالب في العراق، ومتى انتهت طائفتهم، وأسباب انتهائها، ولا نعرف كذلك إن سبق تعيين الأغوات في مكة المكرمة تعيينهم في المدينة المنورة أم جاراه.

الهوامش:

(1) عبير مشخص، الاغوات ذاكرة بصرية لجماليات المسجد النبوي القديم، عادل القريشي يعرض بين دفتي كتابه صوراً توثق عمارة وزينة ثاني الحرمين، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 5 ربيع الأول 1442هـ الموافق 22 أكتوبر 2020م، العدد 15304، https://aawsat.com/home/article/2578341

(2) احمد عبد الرحيم نصر، دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة، سلسلة الكراسات غير الدورية (19)، الخرطوم: معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية 1986م.

(3) جزيل الشكر والتقدير لبروفيسور عبد الله على ابراهيم والذى ساعدني عبر مكتب الاعارة بين المكتبات (the interlibrary loan office) بجامعة ميسوري فى الحصول على نسخة من هذا الكتاب من مكتبة جامعة لندن.

(4) Shoun Marmon, Eunuchs and the Sacred Boundaries in Islamic Society, Oxford: Oxford University Press 1995

(5) سليمان مالكي، احمد عبد الرحيم نصر، سعد الدين اونال، واشترك في جمع المادة ثروت حجازي وعمر كراز اوغلي، مكة: مركز أبحاث الحج، بدون تاريخ.

(6) نفس المرجع، ص 7-6

(7) موقع الدكتور احمد عبد الرحيم نصر على شبكة الإنترنت ahmadabdalrahimnasr.com

(8) محمود احمد محمد قمر، تاريخ الأغوات ودورهم الحضاري في المدينة المنورة، في: السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر: تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور، المدينة المنورة، الجمعية التاريخية السعودية، المجلد 2، العدد2، مايو 2007م، (الصفحات 256-84).

(9) نفسه، ص 234

(10) عادل القريشي، الاغوات، الرياض: أستار للنشر 2020م

(11) بشري الربيعة، أربع رجال فوق التسعين هم من تبقي من أغوات الحرم النبوي، جريدة اندبندت عربية، الخميس 15 أبريل 2021م، https://www.independentarabia.com/node/212486

(12) عبير مشخص، مرجع سابق

(13) احمد عبد الرحيم نصر 2005م، ص 32

(14) مالكي وأونال (د.ت)، ص 21-20

(15) محمود احمد محمد قمر 2007م، ص 172

(16) سحر بنت على دعدع 2021م، ص 22-21

(17) نفسه، ص 42

(18) احمد عبد الرحيم نصر 2005م، ص 84-83

(19) نفسه ، ص 164

(20) نفسه، ص188-187

(21) سحر بنت على دعدع 2021م، ص 177

(22) احمد عبد الرحيم نصر 1986م، ص24-20

(23) مالكي وأونال (د.ت)، ص 50-49

(24) نفسه، ص70-69

(25) سحر بنت على دعدع 2021م، ص84-79

(26) محمود احمد محمد قمر 2007م، ص142-129

(27) احمد عبد الرحيم نصر 1986م، ص 34-33

(28) نفسه، ص 51، وذكرت دراسة مالكي واونال نفس التفاصيل ص 71

(29) مالكي وأونال (د.ت)، ص 52

(30) نفسه، ص 30

(31) محمود محمد احمد قمر 2007م، ص 158

(32) سحر بنت على دعدع 2021م، ص 79

(33) سحر بنت على دعدع 2021م، ص 157

(34) نفسه، ص 179

(35) شركة جبل عمر: هي إحدى أكبر شركات التطوير العقاري في مكة. تقوم هذه الشركة منذ بداية الألفية الثانية بمشروع إعماري في منطقة جبل عمر في الاتجاه الغربي من المسجد الحرام. يغطي المشروع مساحة تبلغ حوالي 230000 متر مربع ويهدف إلى تعمير المناطق المطلة على الحرم بمكة المكرمة، وتوفير المساحات السكنية والتجارية الملائمة مع ما تتطلبه من مرافق وخدمات، وتحقيق عائد أعلى للعقارات المحيطة بمنطقة المشروع وذلك بتملك العقارات المطلة على الحرم وتطويرها وإدارتها واستثمارها وتأجيرها. كما يهدف الي زيادة الطاقة الاستيعابية لزوار بيت الله الحرام من الحجاج والمعتمرين، من خلال تطوير المناطق المطلة على الحرم المكي الشريف.

(36) احمد عبد الرحيم نصر 2005م، ص 174-157

(37) محمود احمد محمد قمر 2007م، 230-225

(38) سحر بنت على دعدع 2021م، ص 174

(39) Dundes Alan (edt), The Study of Folklore, New Jersey, Prentice-Hall, Inc 1965, p 1-2

(40) هيئة التحرير، عرض لكتاب: احمد عبد الرحيم نصر، الاغوات: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة (مقال)، مجلة الدراسات السودانية، المجلد 10، العدد الأول 1990م، الصفحات 171-168، ص171

المراجع:

(1) احمد عبد الرحيم نصر، دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة، سلسلة الكراسات غير الدورية العدد (19)، الخرطوم: معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية 1986م.

(2) بشري الربيعة، أربع رجال فوق التسعين هم من تبقي من أغوات الحرم النبوي، جريدة اندبندت عربية، الخميس 15 أبريل 2021م.

(3) https://www.independentarabia.com/node/212486

(4) خالد سعود البشر، حوار مع شيخ الاغوات سعيد ادم عمر مجلة اليمامة، العدد 1497، السبت 16 ذو القعدة 1418هـ الموافق 14 مارس 1998م.

(5) سحر بنت على دعدع، أغوات الحرمين الشريفين عبر العصور (دراسة تاريخية حضارية)، مكة: مركز تاريخ مكة 2021م.

(6) سليمان مالكي، احمد عبد الرحيم نصر، سعد الدين اونال، واشترك في جمع المادة ثروت حجازي وعمر كراز اوغلي، مكة: مركز أبحاث الحج، (بدون تاريخ).

(7) عادل القريشي، الاغوات، الرياض: إستار للنشر 2020م.

(8) عاصم حمدان علي حمدان، حارة الاغوات، صورة أدبية لمدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية 1992م.

(9) عبير مشخص، الاغوات ذاكرة بصرية لجماليات المسجد النبوي القديم: عادل القريشي يعرض بين دفتي كتابه صوراً توثق عمارة وزينة ثاني الحرمين (مقال)، جريدة الشرق الأوسط، الخميس 5 ربيع الأول 1442هـ الموافق 22 أكتوبر 2020م، العدد 15304

(10) https://aawsat.com/home/article/2578341

(11) محمود احمد محمد قمر، تاريخ الاغوات ودورهم الحضاري في المدينة المنورة في: السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية العاشر: تاريخ وحضارة المدينة المنورة عبر العصور، المدينة المنورة، الجمعية التاريخية السعودية، المجلد 2، العدد2، مايو 2007م، الصفحات (256-84).

(12) موقع الدكتور احمد عبد الرحيم نصر على شبكة الانترنت ahmadabdalrahimnasr.com

(13) هيئة التحرير، عرض لكتاب: احمد عبد الرحيم نصر: دراسة تاريخية مقارنة لاغوات المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة (مقال)، مجلة الدراسات السودانية، مجلد 10، العدد 1، أبريل 1990م، الصفحات (171-168)، الخرطوم: معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية.

(14) Dundes, Alan (edt), The Study of Folklore, New Jersey, Prentice-Hall, Inc1965.

(15) Shoun Marmon, Eunuchs and the Sacred Boundaries in Islamic Society, Oxford: Oxford University Press 1995.